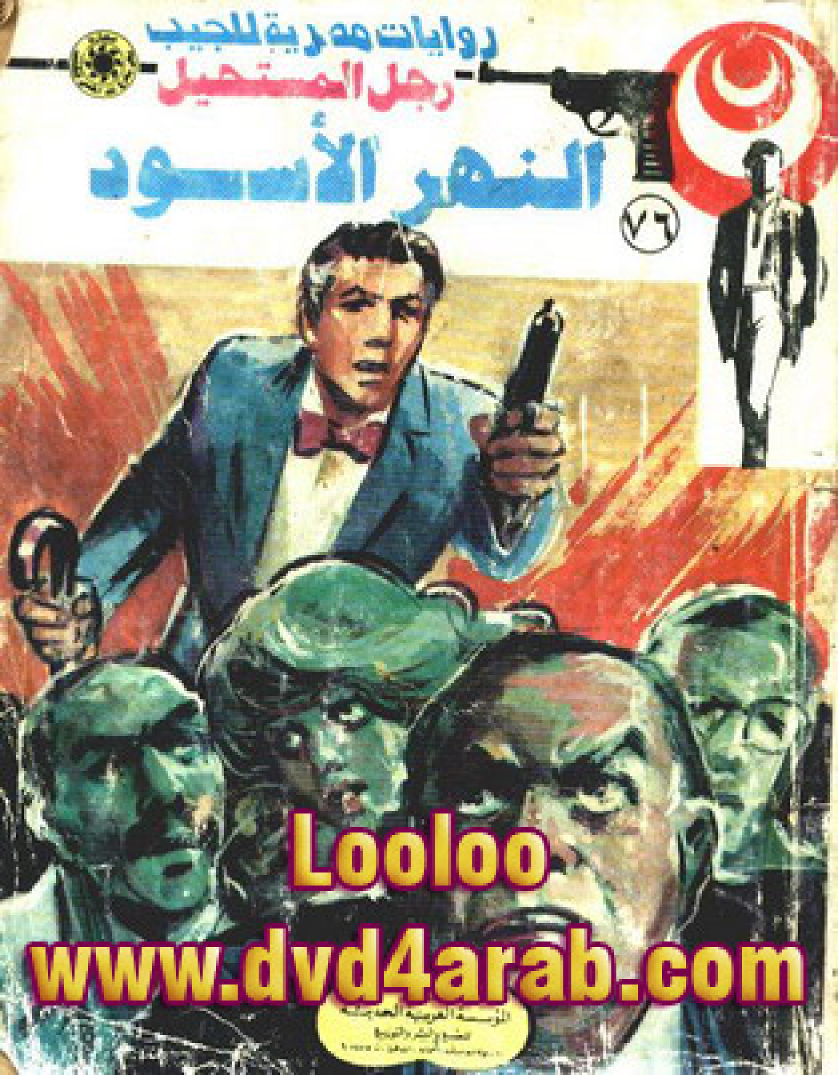

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
النهر الأسود
٧٦
Looloo
www.dvd4arab.com
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..

ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ حياة أخرى ..

« ثلاثة شهور .. » ..

نطق مدير المخابرات العامة المصرية هذه الكلمة ، وصمت ..

كلمة عاديّة ، لم تكن تعنى شيئًا ، سوى تحديد فترة زمنية مُبهمة الأهمية فحسب ..

لولا تلك الطريقة التى نطقها بها ..

ولولا تبرّق الحزن والأسف ، فى كل حرف من حروفها ..

ولولا تلك التنهدة الحارّة التى أعقبتها ..

كل هذه العوامل جعلت النقيب (سمير) يتنهّد بدوره ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. ثلاثة شهور ..

بات واضحًا ، بعد ذلك التعقيب ، وعلى الرغم من الصمت الذى أعقبه ، أن تلك الفترة الزمنية تعنى لهما شيئًا هامًا ، وخاصّة عندما أطلق مدير المخابرات تنهدة أخرى عميقة ، وقال فى أسف :

ــ إنه يبذل أقصى جهده ، ويُجنّد كل إرادته وعزيمته

ليستعيد كفاءته وقدراته مرّة أخرى . إلّا أن هذا يبدو لى هذه المرّة مستحيلًا .

غمغم (سمير) :

ــ معه لا يوجد مستحيل يا أبى .

التفت إليه مدير المخابرات فى حدّة ، ورمقه بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ــ لست أباك هنا .

غمغم (سمير) مرتبكًا :

ــ أعنى يا سيّدى .

عاد مدير المخابرات يدير عينيه إلى نافذته ، التى يقف أمامها عاقدًا كفّيه خلف ظهره ، ومتطلّعًا فى اهتمام إلى فناء مبنى المخابرات العامّة ، ولبث صامتًا لحظات ، ثم غمغم فى خفوت :

ــ إننى أذكر كل شىء ، كما لو كان قد حدث أمس فقط .. أذكر كيف أبلغنا قنصلنا فى (تايوان) بعودة (أدهم) و (منى) إليه ، بعد أن نسفا معقل الجنرال (أندريه) (*) ،

(١) راجع قصة (أسوار الجحيم .. المغامرة رقم (٧٥) .

وكيف أنهما كانا فى حالة يُرثى لها ، حتى أننا قد سارعنا بإرسال طائرة خاصّة إلى (تايبه) ، عاصمة (تايوان) ، لإحضارهما على وجه السرعة ، وعلى متنها فريق طبّىّ متكامل ، وحجرة خاصّة لجراحات الطوارئ ، و .....

بتر عبارته ، وكأنّما وجد أنه من العبث إعادة وصف وشرح ما قدّمته الدولة لهما ، وزفر فى عمق ، وعاد إلى صمته لحظات ، قبل أن يُردِف :

ــ ولكن مبادرتنا لم تعدهما كما كانا .

اكتست ملامحه بحزن هائل ، وهو يستطرد :

ــ لقد انتهيا عمليًّا .

تمتم (سمير) فى صوت مرتجف ، يموج بالانفعال :

ــ ليس بعد .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وغمغم فى حزن :

ــ أتمنّى ذلك .

عاد يتطلّع مرّة أخرى إلى الفناء ، قبل أن يستطرد :

ــ لقد تجاوزت إصابة (منى) الحد المسموح به للياقة ، فتم نقلها إلى مكاتب الإدارة ، حيث ستقضى ما بقى من عمرها فى أعمال روتينية ، غارقة بين أكوام من الملفّات ، تحمل على

غلافها عبارة (سرّى للغاية) ، أمّا هو فلقد كانت إصابة قدمه بالغة ، ولقد بذل الأطباء أقصى جهدهم ، ولكن ......

بتر عبارته بغتة ، وهو ينحنى إلى الأمام فجأة ، هاتفًا فى لهفة :

ــ ها هو ذا .. لقد وصل فى موعده تمامًا كالمعتاد .

اقترب (سمير) من النافذة فى خطوات سريعة ، وتطلّع منها إلى الفناء فى اهتمام ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. ها هو ذا .

كانا يتطلّعان إلى سيّارة عاديّة ، من طراز مصرىّ الصّنع ، عبرَت بوّابة الإدارة ، وتوقّفت فى مكان مخصّص لها ، وهبط منها رجل وسيم ، عريض المنكبين ، طويل القامة ، يتكئ على عصا مُذهّبة القمة ، وهو يعرج على نحو ملحوظ بقدمه اليسرى ، ورآياه يلوّح لحارس البوّابة ، هاتفًا فى مَرَح :

ــ صباح الخير يا (حسن) .. أما زلت تحمل ذلك المسدّس الضخم .. صدّقنى يا صديقى ، إنه يجعل إصابة الهدف أكثر صعوبة .

ثم اتّجه بخطواته العسيرة نحو مدخل الإدارة ، وهو يحمل على

شفتيه ابتسامة ساخرة مرحة ، جعلت مدير المخابرات يغمغم فى حزن :

ــ من العجيب أنه لم يفقد روحه المَرِحة ، ولا سُخريته من النّكبات أبدًا .

قال (سمير) فى حزم واعتداد :

ــ هذه هى سِمَة شخصيته يا سيّدى .. وهذا أؤكّد أنه ما زال يستحق لقبه .. لقب (رجل المستحيل) ..

* * *

اخترق موكب عجيب ، يتكوّن من ثلاث سيّارات ، شوارع الميناء الفرنسى (مارسيليا) ، فى سرعة مرتفعة نسبيًّا ، وتجاهل رجال شرطة المرور تجاوز السيّارات الثلاث لمعظم قواعد المرور ، وكأنّما يخشَوْن رُكّابها ..

أما عن رجال الشرطة التقليدية ، المختصّة بمكافحة الجريمة ، فقد أشاحوا بوجوههم ، وتظاهروا بأنهم لم يلمحوا فُوّهات المدافع الرشّاشة ، المطلّة من نوافذ السيّارتين ، الأمامية والخلفية ، ولا ذلك المسدّس الضخم ، الذى يحمله ذلك العملاق ، الذى يجلس إلى جوار سائق السيّارة الوسطى ، على نحو سافر متحدّ ..

ولقد اعتاد سكّان (مارسيليا) هذا المشهد ، وهذا التصرُّف ، من رجال الشرطة ، فحتى هم ، ارتجفوا لمرأى الموكب ، وارتسم بعض الخوف والذُّعر فى عيونهم ، وهم يختلسون النظر إلى ذلك الرجل البالغ البدانة ، الذى يحتلُّ وحده المقعد الخلفى كله للسيّارة الوسطى ..

لقد كان واحدا من ثلاثة رجال ، يتربعون على عرش الجريمة فى (مارسيليا) ..

كان يُدْعى (فنتورا) ..

ولكن ما أثار قلق سكان (مارسيليا) وشرطتها حقًا ، هو أن ذلك المشهد قد تكرّر مرّتين أخريين هذا الصباح ..

كان هناك موكبان شبيهان ، قبل هذا ..

وكان أحدهما يخصّ (بلوميه) ، والآخر يخصّ (موروا) ..

(فنتورا) ، و (بلوميه) ، و (موروا) ..

عمالقة الجريمة فى (مارسيليا) ..

ولقد توقّف موكب (فنتورا) فى نفس المكان ، حيث توقّف موكبا (بلوميه) و (موروا) من قبل ، أمام مكتبة المدينة العامّة ، التى تم منع أىّ مخلوق من الاقتراب منها ، منذ مساء

الأمس ، على الرغم ممّا يتيحه القانون من حقّ الاطلاع ، وأحيطت بسوارٍ من مزيج من رجال العمالقة الثلاثة ، تحت سمع رجال الشرطة وأبصارهم ...

وقفز الرجال المسلحون من السيّارتين ، وأحاطوا بالسيّارة الوسطى ، حيث هبط منها فيل بشرىّ بالغ الضخامة ، يضغط بأسنانه على سيجار فاخر ضخم ، ويتصبّب العرق على وجهه فى غزارة ، من فرط بدانته ، ويبدو رثُّ الهيئة ، على الرغم من الحُلّة الباهظة الثمن ، ورباط العنق الفاخر ، وهو يغمغم فى سخط :

ــ تبًا لـ (بلوميه) و (موروا) .. ألم يجدا مكانًا أكثر سخافة من هذا ؟

قال هذا ، واتجه إلى سُلّم المبنى ، وراح يصعد درجاته فى صعوبة ، دون أن ينتظر جوابًا ، وأسرع أحد رجاله يفتح باب المكتبة ، وانحنى أمامه فى احترام ، فدلف (فنتورا) إلى القاعة الضخمة ، وهو يلوّح بذراعيه هاتفًا :

ــ أيّة حماقة دفعتكما إلى .....؟

بتر عبارته بغتة ، وهو يتجاوز (بلوميه) و (موروا) بنظره ، ويحدّق فى وجه وجسد تلك الفاتنة الشقراء ، التى

جلست بينهما ، تدخن سيجارتها الرفيعة ، وتنفث دخانها في هدوء ..

واتسعت عينا (فتورا) في انبهار ..

إنها لم تكن فاتنة فحسب ..

بل هي الفتنة مجسمة ..

عيناها ..

شفتاها ..

شعرها ..

جسدها ..

كل ذرة في جسمها كانت تهتف بالفتنة ..

وكان جلوسها إلى جوار (بلوميه) و (موروا) يبدو متناقضًا تمامًا ، فكلاهما قبيح الوجه .. (بلوميه) نحيل طويل ، مجعد الوجه ، يخفي نحوله بشارب ضخم ، و (موروا) ، قصير ، ضخم الوجه ، يبدو ذراعاه وكأنهما قد حصلا على مزيد من الطول ، بحيث اقترب كفاه من ركبتيه ، وبات شبيهًا بتلك الحلقة المفقودة ، ما بين الإنسان والقرد ..

وبانبهار كامل ، ودون أن يلتفت إلى زميلي مهنته ، اندفع نحو الشقراء الفاتنة ، وصافحها ، وهو يلهث من فرط البداهة واللهفة :

ـ صباح الخير يا فاتنة الفاتنات .. لقد علمت الآن فقط ، لِمَ بدت لي (مارسيليا) شديدة الإشراق والبهجة هذا الصباح .

ابتسمت الفتاة في ثقة وهدوء ، وهي تمد له كفها مقلوبة ، وكأنما تدعوه لتقبيلها في انبهار ..

ولقد فعل ..

واتسعت ابتسامتها ، وحملت مزيدًا من الثقة ، وكأنما تعلم جيدًا تأثير جمالها الفاتن ، وسحرها على الرجال ، ورفعت أحد حاجبيها الجميلين ، وهي تقول :

ـ رائع يا مسيو (فتورا) .. إنك عبقري في فن الغزل أيضًا .

أبهجته عبارتها ، فابتسم ابتسامة واسعة ، وتهللت أساريره ، على حين عقد (موروا) حاجبيه الكثين ، وهو يغمغم في ضيق :

ـ ليس هذا وقت الغزل يا (فتورا) .. إنه عمل .

عقد (فتورا) حاجبيه بدوره ، وجذب مقعدًا ، ليجلس إلى جوار الفتاة تمامًا ، ويرسم على شفتيه ابتسامة ثقة ، مغمغمًا :

ـ العمل لا يعني إجحاف حق الفاتنات يا عزيزي (موروا) .

قال (بلوميه) فى صرامة :

ــ ولا يعنى الانشغال بهنّ عنه يا (فنتورا) .

هتف (فنتورا) فى حِدّة :

ــ أين هذا العمل إذن ؟.. لقد حضرت دون أن أعلم ماذا تريدان منى .

غمغم (موروا) :

ــ قلت لك إنه عمل .

هتف (فنتورا) فى غضب :

ــ أى عمل هذا ؟

أشار (بلوميه) إلى الشقراء ، مجيبًا :

ــ سَلْها .. إنها صاحبته .

التفت إليها (فنتورا) فى دهشة ، فرسمت على شفتيها ابتسامة فاتنة ، شديدة الإغراء ، وهى تقول فى دلال :

ــ لنبدأ بالتعارف أوّلًا يامسيو (فنتورا) .. اسمى (سونيا) .. (سونيا جراهام) ..

* * *

٢ ــ اقتلوه ..

تجاهل (أدهم) مصعد مبنى المخابرات كعادته ، على الرغم من إصابة قدمه ، وراح يصعد إلى الطابق الثانى فى قفزات سريعة نسبيًا ، أثارت دهشة الجميع ، وهو يلقى إليهم التحية بروحه المَرِحة المألوفة ، حتى بلغ حجرة خاصّة ، فطرق بابها ، ودفعه قبل أن يتلقَّى جوابًا ، ودلف إلى الحجرة ، فتهلّلت أسارير (قدرى) ، وهتف وهو ينهض من مقعده الضخم ، بجسده البالغ البدانة :

ــ (أدهم) !.. صباح الخير يا صديقى .. كيف حالك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يجلس ، قائلًا :

ــ فى خير حال يا صديقى .. إننى على قيد الحياة والحمد لله .

ارتسمت نظرة مُشفقة فى عينى (قدرى) ، وهو يسأله فى خُفوت :

ــ وكيف حال ساقك ؟

ضحك (أدهم) فى مَرَح ، وهو يشير إليها ، قائلًا :

— إنها تتحدى الجميع يا صديقى ، وستستعيد طبيعتها بعد عام على الأكثر .

دمعت عينا (قدرى) ، إزاء تلك الروح العالية ، وهتف من أعماقه :

— (أدهم) .. أنت عظيم .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— بل صَبُور .

ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

— كيف حال (منى) ؟

أجابه (قدرى) فى إشفاق واضح :

— سيستغرق شفاؤها أضعاف ذلك العام .

تنهّد (أدهم) فى عمق ، وغمغم :

— يا إلهى !!.. إننى أعتبر نفسى مسئولًا عمّا أصابها .

أتاه صوت رقيق من خلفه ، يقول فى صوت أشبه بالهمس :

— ولكننى لا أعتبر ذلك يا (أدهم) .

استدار إلى مصدر الصوت ، وارتفع حاجباه فى حنان دافق ، وهو يهتف :

— (منى) ؟.. كيف حالك يا عزيزتى ؟

كانت تجلس على مقعد متحرّك ، يمزّق نياط قلبه كلّما التقيا ، ولكن ابتسامتها كانت تملأ وجهها ، وهى تدفع مقعدها نحوه ، وتلقى كفّيها فى راحتيه فى لهفة وسعادة ، هاتفة :

— يا لك من جاحد !! إننى لم أرَك منذ ثلاثة أيام .. ألا تحتاجون فى قسم العمليات إلى أيّة مطالب من قسم الملفّات .

احتضن كفّيها بكفّيه فى حنان ، وهو يتطلّع إلى عينيها ، قائلًا :

— أنت تعلمين أننى ما زلت مقيّدًا بقسم العمليات ، لأنهم يخجلون من مواجهتى بحقيقة موقفى يا عزيزتى ، والواقع أنه كان ينبغى أن ينقلونا معًا إلى قسم الملفات .

هتفت فى انفعال :

— هُرَاء .

ثم أضافت فى حماس :

— (أدهم صبرى) هو (أدهم صبرى) .. ولن توقفك إصابة تافهة كهذه .. ستظل دومًا أعظمهم .. وستحمل إلى الأبد ذلك اللقب .. لقب (رجل المستحيل) .

* * *

عقد (فنتورا) حاجبيه فى شدّة ، وهو يستمع إلى (سونيا جراهام) ، ثم لم يلبث أن استوقفها بإشارة من يده ، وقال :

— مهلًا يا مدموازيل (سونيا) ، يلوح لى أنك تتجاوزين حدودك كثيرًا .. لقد أتيت إلى (مارسيليا) ، وأقنعت ذلك الأحمق (موروا) بطلب عقد اجتماع قمة ، وجعلت ثلاثتنا نجتمع هنا من أجلك ، ثم ها أنتذى تطلبين منّا توحيد جهودنا للقضاء على رجل نجهله .. أى هُرَاء هذا ؟

نفثت (سونيا) دُخان سيجارتها الرفيعة فى عصبيّة ، وهى تقول :

— إنه ليس هُرَاءً يا مسيو (فنتورا) .. إنه عمل ، فهذا الرجل الذى أتحدّث عنه من أخطر رجال المخابرات فى العالم أجمع .. بل هو أخطرهم بلا منازع .

لوّح بذراعه فى حَنَق ، هاتفًا :

— وما شأننا نحن برجال المخابرات ؟!.. إننا نتاجر فى المخدّرات ، ونروّج كل ألعاب القمار ، وندير شبكات للدعارة .....

قاطعه (بلوميه) فى ضيق :

— كفَى يا (فنتورا) .. إنك تلقى بيانًا عن نشاطاتنا .

عقد (فنتورا) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى سخط ، ثم لم يلبث أن هتف :

— فليكن .. المهم أنه لا شأن لنا برجال المخابرات .

مالت (سونيا) إلى الأمام ، وهى تقول فى صرامة :

— وعمل هذا الرجل لا يقتصر على المخابرات فحسب .. هل تذكرون ما أصاب (مارسيل) فى (باريس)[*] ؟ إن هذا الرجل هو المسئول عنه .

هتف (فنتورا) فى دهشة :

— يا للشيطان !!.. أهو نفس الرجل ؟!

أومأت برأسها مغمغمة فى صلابة :

— هو نفسه يا مسيو (فنتورا) .

تراجع (فنتورا) فى مقعده ، وراح يلهث من فرط بدانته ، ويمسح العرق المتصبّب على وجهه فى غزارة ، وهو يغمغم :

— ولكنهم يتحدّثون عن هذا الرجل ، كما لو كان أسطورة .

هتفت فى سُخط :

— إنه لم يَعُدْ كذلك .

ثم استطردت فى بُغض هائل :

— لقد أصيب إصابة بالغة فى آخر عمليّاته وأصبح عاجزًا .

(*) راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .



رفعوا حواجبهم فى دهشة ، وهم يتطلعون إلى انفعالها الشديد فى حيرة ، فتراجعت فى مقعدها .

التقط (بلوميه) نفسًا عميقًا من سيجاره ، قبل أن يسألها فى شك :

ــ لماذا تسعين للتخلص من شخص عاجز إذن ؟

هتفت فى غضب :

ــ لأنه لن يلبث أن يتعافى .

رفعوا حواجبهم فى دهشة ، وهم يتطلعون إلى انفعالها الشديد فى حيرة ، فتراجعت فى مقعدها ، وأضافت فى مقت :

ــ وسأدفع ثمن هذا .

تبادلوا نظرة ساخرة ، وقال (موروا) :

ــ ثمن هذا ؟!.. أتعلمين كم يبلغ ثمننا ؟.. إننا أكبر ثلاثة رجال فى (مارسيليا) كلها .. إننا نملك كل شىء هنا .. الفنادق ، والملاهى ، وعلب الليل ، ونوادى القمار ، وحتى شركات الشحن وسفن البضائع .

أضاف (بلوميه) فى صرامة :

ــ ورجال الشرطة والقضاء .

ابتسم (موروا) لتعقيبه ، وبدا بابتسامته أكثر بشاعة ، قبل أن يومئ برأسه موافقًا ، ويقول :

— نعم .. نمتلك كل شىء .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة زهو ، زادته قبحًا ، قبل أن يُردف :

— أى ثمن يمكنك دفعه لنا إذن ؟

نفثت دُخان سيجارتها فى قوة ، ثم قالت فى حزم وبطء :

— عشرة ملايين دولار ، تدفعها لكم منظمة (سكوربيون) ، مقابل ذلك .

وحملت الحقيبة المجاورة لها ، وفتحتها فى حركة حادة سريعة ، وأفرغت محتوياتها على الأرض أمامهم ، مستطردة :

— ونصفها مقدمًا .

حدق الثلاثة فى رزم الأوراق المالية ، الملقاة أمامهم ، فى انبهار ، ثم هتف (موروا) فى انفعال :

— يا للشيطان !!.. إننى على استعداد لقتل (فرانسوا ميتران) نفسه ، مقابل هذا المبلغ .

غمغمت (سونيا) فى سخرية :

— لن تكون مضطرًا لذلك .

هتف (فتورا) فى انفعال :

— حسنًا يا فاتنتى .. متى نبدأ ؟

اعتدلت فى ثقة ، وقالت :

— فور قدوم (أدهم صبرى) إلى هنا .

سألها (بلوميه) فى لهفة :

— وكيف يمكنك إحضاره ؟

نهضت من مقعدها ، وهى تقول :

— إن شقيقه الوحيد ، الدكتور (أحمد صبرى) ، سيلقى محاضرة هامة هنا ، فى جامعة (مارسيليا) ، بعد أسبوع واحد .

هتف فى انفعال :

— هل نختطفه ، و ......؟

قاطعته فى سُخرية :

— كلا يا عزيزى .. هذا الأسلوب ردىء وقديم ، ولقد استُهلك عشرات المرات ، ثم إنه سيجعل (أدهم) يحضر إلى هنا ، وهو يتوقع تمامًا ما ينتظره ، وهذا يُفقدنا عنصر المباغتة ، ويجعل الأمر أكثر صعوبة ، ويقلل أيضًا من احتمالات النجاح .

هتف (فتورا) فى صرامة :

— هُراء .. ما إن يضع ذلك الرجل قدميه هنا ، حتى تصبح نهايته حتمية .

ابتسمت في سخرية ، وهي تقول :

ـ لقد سمعت هذا القول عشرات المرّات من قبل ، ولكنه لم يتحقّق أبدًا .

ثم انعقد حاجباها ، وهي تردِف في مقت :

ـ إنني أريد لـ (أدهم صبري) أن يأتي إلى هنا ، دون أن يخطر بباله أنه سيواجه أي نوع من المخاطر .. أريده أن يأتي مطمئنًا ، ثم .....

فرقعت سبّابتها وإبهامها ، قبل أن تهتف في انفعال :

ـ اقتلوه .. اقتلوا (أدهم صبري) ..

* * *



٣ ـ الحادث ..

توقّفت السيّارة ، التي تقلّ الدكتور (أحمد صبري) ، أمام بوّابة جامعة (مارسيليا) ، وهبط هو منها مبتسمًا ، وشكر السائق كعادته ، ثم اعتدل يستنشق هواء المدينة ، المشبّع برائحة البحر ، ويملأ به صدره ، قبل أن يتجه في خطوات واسعة نحو البوّابة ..

وفجأة ، انحرف راكب درّاجة بخارية عن طريقه ، وقفزت به درّاجته فوق الرصيف ، وصرخ في جزع ، وهو يندفع نحو الدكتور (أحمد) :

ـ احترس يا مسيو .. لقد فقدت سيطرتي عليها .

قفز الدكتور (أحمد) إلى الخلف ، وتراجع محاولًا تفادي الدرّاجة ، التي مالت بغتة بزاوية مُفزعة ، وارتطم إطارها الأمامي بساقه اليمنى في عنف ..

وتأوّه الدكتور (أحمد) ، وشعر بساقه تعجز عن حمله ، وتهاوى معها أرضًا ، وهو يصرخ في ألم ، على حين قفز قائد



وتراجع محاولاً تفادى الدرّاجة ، التى مالت بغتة بزاوية مُفزعة ، وارتطم إطارها الأمامى بساقه اليمنى فى عنف ..

الدرّاجة البخارية ، وهو يحمل وجهًا مُختقِنًا من شدّة الارتباك ، هاتفًا :

ــ إننى لم أقصد .. لقد انقطع سلك الكمّاحة بغتة .. صدّقونى لم أقصد .

تجمّع المارّة حول الدكتور (أحمد) ، وحاول أحدهم معاونته على النهوض ، إلّا أنه تأوّه فى ألم .. هاتفًا :

ــ حَذارِ .. ساقى تؤلمنى للغاية .. يبدو أنها قد أصيبت بكسر .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهرت سيّارة الإسعاف عند الناصية ، وتعالى صوتُ بُوقها المميّز ، وحمل رجالها الدكتور (أحمد) على محفّة خاصّة ، وانطلقوا به إلى مستشفى (ماوسيليا) البحرىّ ..

وهنا ابتسم راكب الدرّاجة البخارية ، واقترب منه أحد المارّة ، وقال فى خُبْث :

ــ أحسنت .

اتسعت ابتسامة راكب الدرّاجة ، وهو يقول :

ـــ هـل أعجـبك أدائى ؟ لقـد تفـوّقت على (بلموندو)(*) .. أليس كذلك ؟

غمغم الرجل :

ـــ بالطبع .

ثم أضاف ، وهو يشعل سيجارته :

ـــ والآن اذهب إلى (جان) ، وسيفدك أجرك كاملًا ، فقد انتهت مهمّتك ، ولن يلبث الصيد أن يُلقى بنفسه فى الفخّ .

وابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـــ وسيبدأ حفل الصيد ..

* * *

« حادث ؟!.. » ..

نطق مدير المخابرات الكلمة فى مزيد من الدهشة والشك ، وهو يتطلّع إلى وجه (أدهم) ، الذى بدا غاضبًا ، وهو يقول :

(*) جان بول بلموندو : ممثل فرنسى شهير ، اشتهر بأداء أدوار الخطر بنفسه ، ودون الاستعانة ببديل (دوبلير) ، وهو يحوز شهرة لا بأس بها فى الوطن العربى .

ـــ نعم يا سيّدى .. حادث سير .. ومن الضرورى أن أذهب لرؤيته على الفور .

تردّد مدير المخابرات لحظة ، ثم قال :

ـــ رُوَيْدَك يا (أدهم) .. إننى أعلم تلك الرابطة القوية ، التى تربطك بشقيقك ، ولكننى أشتَمّ فى هذا الحادث رائحة فخّ .

هتف (أدهم) :

ـــ فخّ مِمَّن ؟. ولِمَنْ ؟.. إننى لَمْ أعُد صيدًا يسعَوْن خلفه يا سيّدى .

أجابه المدير :

ـــ هذا ما تظنّه أنت .

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ أيًا ما كان الأمر .. سأذهب .. إنه شقيقى الوحيد .

تنهّد مدير المخابرات فى ضيق ، وقال :

ـــ أعلم أنه من المستحيل منعك يا (أدهم) .. حسنًا .. اذهب لرؤية شقيقك ، والاطمئنان عليه .

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ شكرًا يا سيّدى ..

أضاف المدير فى حزم :

— ولكن اذهب إلى قسم المبتكرات أوّلا ، فقد تحتاج إلى
بعض إنتاجهم هناك .
ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
— اطمئن ياسيّدى .. إننى لم أعُد صبيًّا .
وغادر المكتب ، وأغلق بابه خلفه فى هدوء ، فالتفت المدير
إلى النقيب (سمير) ، وقال فى توتُّر :
— ما رأيك ؟
أجابه (سمير) فى حزم :
— رأيى .. أننى أشمّ مثلك رائحة فخ .
عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول فى حِدّة :
— و (أدهم) هذا شديد العِناد ، حتى أنه يرفض
الاعتراف بذلك الأمر الواضح .
صمت (سمير) لحظة ، ثم غمغم فى تردُّد :
— ربّما كان يتظاهر بذلك يا سيّدى .
ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يقول :
— ربّما .. ولكنه فى كل الأحوال يحتاج إلى حماية .
ثم عاد يلتفت إليه ، مستطردًا فى حزم :
— حمايتك ..

* * *

نفثت (سونيا جراهام) دُخان سيجارتها الرفيعة فى عصبيّة
بالغة ، ثم أعادت المنظار المقرّب إلى عينيها ، وهى تقول فى
توتُّر :
— سيأتى .. سيأتى حتمًا .
ابتسم الرجل ، الجالس إلى جوارها ، وهو يقول :
— أأنت واثقة من نفسك دوْمًا هكذا ، يا عزيزتى
(سونيا) ؟
هتفت فى حِدّة :
— بالطبع .
وعادت تلتقط أنفاس سيجارتها فى عصبيّة ، قبل أن
تستطرد :
— ولولا هذا مانجحت فى إقناع منظّمتك بتقديم مثل هذا
العرض ، لأوغاد (مارسيليا) الثلاثة يا عزيزى (شارل) .
هزّ (شارل) هذا كتفيه فى لا مبالاة ، وصبّ لنفسه كأسًا
من الخمر ، وهو يقول مبتسمًا :
— إنهم لم يحصلوا على شىء يُذكر .. لقد كانت
(سكوربيون) على أتم استعداد لدفع ضعفى هذا المبلغ ، مقابل
القضاء على (أدهم صبرى) هذا ، بعد تلك الهزائم التى نالتها
على يديه .

لاحظ أنها لم تنتبه إلى حديثه ؛ لأنها مُنهمكة فى التطلع ــ عَبْرَ منظارها المقرِّب ، إلى مدخل مستشفى (مارسيليا) البحرى ، فهتف فى ضيق :

ــ ماذا تنتظرين ؟.. إنه لن يأتى بوجه مكشوف بالطبع .. سيأتى متنكرًا حتمًا ، فهو كما تعلمين ، صاحب ألف وجه .

قالت فى توتُّر :

ــ لن يكون تنكُّره سهلاً هذه المرَّة ، وهو يحمل ساقًا مصابة .

ابتسم مغمغمًا :

ــ أتراهنين ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تلتفت إليه فى سُخْط ، ثم عادت تتابع مراقبتها ، مغمغمة :

ــ لا يمكنك المراهنة على أى شىء ، عندما يتعلَّق الأمر برجل مثل (أدهم صبرى) .

رمقها بنظرة جانبية ، وهو يغمغم :

ــ حتى مع وجود (فتورا) ، و (بلوميه) ، و (موروا) ؟

قلَّبت شفتيها الجميلتين فى ازدراء ، وهى تقول :

ــ هؤلاء الأوغاد الثلاثة ليسوا سوى بالونات منفوخة ، يسهل تفجيرها بشكَّة دبُّوس واحدة ، لولا ما يحيطون به أنفسهم من رجال وعتاد .

هتف فى دهشة :

ــ لماذا تلجئين إليهم إذن ؟

ابتسمت فى سُخرية ، وهى تقول :

ــ للسبب نفسه يا عزيزى .

سألها فى دهشة :

ــ أتعنين أنك تعبثين بهم ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ بلا شك .

وأطلقت ضحكة ساخرة ، قبل أن تُرْدِف :

ــ إنهم لا يستحقُّون ما هو أكثر من ذلك .

تطلَّع إليها بمزيج من الدهشة والخوف ، ثم هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ــ يا للشيطان !!.. إنك .....

قاطعته شهقة قويَّة من بين شفتيها ، فهتف بها فى انفعال :

ــ ماذا هناك ؟

(٣٥١ ــ ٠ حا المستحيل ٧٦/ الـ الأسد)

لوّحت بكفها فى انفعال بالغ ، وهى تهتف بصوت متحشرج :

ـ إنه هو .. ألم أقل لك ؟.. إنه هو .. هو .

قفز نحو النافذة ، وهو يهتف بدوره .

ـ هل جاء حقًا ؟

اتسعت عيناه ، وهو يحدق فى جسد شاب وسيم ، يصعد فى درجات سلّم المستشفى فى هدوء ، وهو يعرج على نحو واضح ، وهتف :

ـ يا لجرأته !!.. إنه حتى لم يلجأ إلى التنكّر !!

هتفت (سونيا) فى كراهية بالغة :

ـ سيدفع ثمنها غاليا .

ثم التقطت جهاز لاسلكىّ صغيرًا ، وضغطت زرّه ، هاتفة فى انفعال :

ـ لقد وصل الصيد يا رجال .. وسيبدأ التنفيذ على الفور .. هيّا ..

* * *

٤ ـ وبَدَأ القِتال ..

تهلّلت أسارير الدكتور (أحمد) ، وهو يرقد فى فراشه بالمستشفى ، وهتف فى سعادة ، وهو يستقبل شقيقه :

ـ (أدهم) !!.. يا لها من مفاجأة !.. إننى لم أتوقّع حضورك أبدا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يصافح شقيقه فى حرارة ، قائلًا :

ـ كان ينبغى ألّا تتوقّع العكس مطلقًا .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ كيف حالك ؟

هتف (أحمد) :

ـ فى خير حال يا أخى العزيز .. ولكن كيف خاطرت بالحضور إلى هنا ؟

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لم أستطع مقاومة فضولى ، لرؤيتنا معًا ، وكلّ منّا يُعانى ساقًا مصابة .

ضحك (أحمد) بدوره ، وقال :

ـ إننا نتشابه منذ الصِّغر يا (أدهم) .

ثم عادت ملامحه تكتسى بالجدِّيَّة ، وهو يستطرد :

ـــ ولكن قل لى .. ألست تخشى أيَّة محاولات انتقامية حقًا ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى مرح ، لم يخلُ من رنَّة حزن وأسف :

ـــ اطمئن يا أخى إننى لم أعُد ذلك الرجل ، الذى يسعى الجميع للانتقام منه .. لقد أصبحت مجرَّد ذكرى .

هتف (أحمد) :

ـــ مُحال .. ستظل دوْمًا أقوى الجميع .

ضحك (أدهم) ، قائلًا :

ـــ أتمنَّى ذلك يا أخى العزيز ، ولكن الواقع هو أن ......

وفجأة ، بتر عبارته ..

وفجأة أيضًا ، تجاهل ساقه المصابة ، وقفز من مكانه ، ليحمى أخاه بجسده ..

وفى نفس اللحظة ، انطلقت الرصاصات ، لتحطِّم رتاج الباب ، واندفع خمسة عمالقة ، يحملون المدافع الرشاشة ، داخل الحجرة ..

لقد بدأ القتال ..

بدأ الجحيم ..

وبدأت لعبة الصيد ..

* * *

تقول الأمثال الشعبية المصرية : « يموت الزمَّار ويداه تعزفان » ..

وتقول أيضًا : « مهما ذبل الورد ، فهو يحتفظ بعبيره » ..

وهذا صحيح ..

لقد كان (أدهم) مصابًا ..

وكان قد فقد القدرة على التحرُّك السريع ، والمباغتة ..

ولكنه لم يفقد شجاعته وبأسه ..

لم يفقد جرأته ، ولا استهتاره بالمخاطر ..

ولا سرعة استجابته ..

لقد كان الأوغاد الخمسة يقتحمون المكان ، وهم يتصوَّرون أنهم سيقتنصون فريسة سهلة عاجزة ، لن تقدر على مواجهتهم ، أو منافستهم ..

لذا فقد كانت المفاجأة من نصيبهم هُم ..

لقد انتزع (أدهم) مسدَّسه ، من جيب سترته ، بسرعة خرافية ، واستقبل الرجال الخمسة بسيل من الرصاصات ، فحطَّم أكُفَّ ثلاثة منهم ، وأطار سلاحى الاثنين الآخرين ، قبل أن يتحرَّك الخمسة خطوة واحدة ، فتراجعوا فى ذُعر ، وهتف (أحمد) فى ذهول :

ـــ ما هذا بحق السماء ؟.. ماذا يحدث ؟.. وكيف توقعت ذلك ؟

أجابه (أدهم) فى حذر ، وهو يعتدل واقفًا ، ومسدسه مصوَّب تجاه الرجال الخمسة ، الذين اكتنفهم مزيج من الذُّعر والذُّهول :

ـــ هذا الذى يحدث يُثلجُ صدرى يا عزيزى ، ويجعلنى أعتقد أننى ما زلت ذلك الرجل ، الذى يخشاه الجميع ، أمَّا عن كيف توقعت ذلك ، فلقد تناهى إلى مسامعى صوت إبرة مدفع رشاش ، تُعدُّ للإطلاق ، ولمَّا كنَّا داخل مستشفى عام ، وليس قاعدة عسكرية ، فقد توقعت ما سيحدث .

كانا يتحدَّثان بالعربية ، فتبادل الرجال الخمسة نظرات حائرة متوتِّرة ، ثم قال أضخمهم بالفرنسية فى غضب :

ـــ لو أنك تتصوَّر أنك ستنجو من هنا ، فأنت واهم .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى سُخرية ، وبفرنسية سليمة للغاية :

ـــ هكذا ؟!.. لماذا أيها الوغد ؟.. ما الذى ينتظرنى ؟

لوَّح الرجل بذراعه فى غضب ، وهو يهتف :

ـــ المستشفى كله مُحاط برجالنا ، ورجال (فنتورا)

و (بلوميه) ، ولن يجرؤ رجل شرطة واحد على الاقتراب من هنا ، وهناك أكثر من عشرة من رجالنا داخل أروقة المستشفى ، و .....

قاطعه (أدهم) ساخرًا .

ـــ رائع .. هذا يعنى أننا نواجه طُغمة من الأوغاد .

هتف الرجل فى حِدَّة :

ـــ ولن تغادر المكان حيًّا أبدًا .

خفض (أدهم) فُوَّهة مسدَّسه ، وهو يقول فى سُخرية :

ـــ أتعتقد ذلك ؟

تألَّقت عيون الرجال الخمسة ، وهم يتبادلون نظرات اللَّهفة ، فقد خفض خصمهم فُوَّهة مسدَّسه ، وهو يتكئ على عصاه ، وهم خمسة من العمالقة الأشدَّاء ، من ذوى العضلات المفتولة ، والصدور المنتفخة ، و .....

ولم يكن هناك مجال للتفكير الطويل ..

لقد انقضُّوا على (أدهم) كرجل واحد ..

* * *

من المؤكَّد أن قطيعًا من الأفيال كان سيصاب بذهول عارم ، وبخزى لا مثيل له مدى الحياة ، حينما يحطِّم رأسه غزال عاجز ..



وبسرعة مذهلة ، ارتفعت عصاه ، وهوت على رأس أحدهم ، ثم انسحبت في توافق مذهل ، لتغوص في معدة الثاني ..

وهذا ما حدث ..

لقد انقضّ الأفيال الخمسة على (أدهم) في شراسة رهيبة ، وكان هو عاجزًا عن تحريك قدمه بالسرعة الكافية ..

لذا فقد بقِىَ في مكانه ..

وبسرعة مُذهلة ، ارتفعت عصاه ، وهوَت على رأس أحدهم ، ثم انسحبت في توافُق مُذهل ، لتغوص في معدة الثاني ، في نفس اللحظة التي حطَّمت فيها قبضته الأخرى فكّ الثالث ، وقفزت منه لتهشّم أسنان الرابع ..

وتراجع الخامس في ذُهول ..

تراجع ، وهو يحدّق في أجساد رفاقه الأربعة ، الذين تناثروا حوله فاقدِى الوَعْي ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه الكثّين في سُخط وغضب هائلين ، وهتف في وحشيّة :

ــ أيها الحقير .

وانقضّ على (أدهم) كثَوْر هائج ، ولكنّ قبضة (أدهم) هشمت أسنانه الأمامية كلها بلكمة كالقنبلة ، ثم ارتفعت عصاه ، وتحطّمت على رأس الرجل ، الذى جحظت عيناه ، وترنّح في مكانه لحظة ، ثم سقط فاقِد الوَعْي كالطَّوْد ..

كل هذا و (أدهم) لم يتحرّك خطوة واحدة من مكانه ..

وهتف (أحمد) فى ذعر وذهول :

ــ يا إلهى !!.. لقد هزمتهم يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ شكرًا لإطرائك يا شقيقى العزيز .

هتف (أحمد) فى جزع :

ــ والآن ماذا سنفعل ؟

جذب (أدهم) مقعدًا متحرّكًا ، وانحنى يلتقط مدفعين رشاشين ، وهو يبتسم فى هدوء ، قائلًا :

ــ ماذا تتوقّع أن نفعل يا أخى العزيز ؟.

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

ــ سنفرّ من هنا بالطبع .

* * *

توتّر رجال (موروا) ، الذين يملئون طرقات المستشفى ، وقال أحدهم فى عصبيّة :

ــ ماذا حدث ؟.. كان من المفروض ألّا تستغرق العملية أكثر من دقيقة واحدة .. ماذا يفعل (ديمو) ورجاله كل هذا الوقت ؟

مال رجل آخر نحوه ، قائلًا :

ــ أظن أنه ينبغى أن نهجم يا (ديلون) .

صاح به فى غضب :

ــ ليس بعد .. أنسيت الأوامر ؟

تردّد الرجل لحظة ، ثم غمغم :

ــ أخشى أن يكون ذلك الرجل قد هزم (ديمو) ، و .....

قاطعه (ديلون) صارخًا :

ــ أجُننت يا رجل ؟.. من المستحيل أن يهزم رجل عاجز خمسة من رجالنا ، فى مثل ضخامة وقوّة (ديمو) ورفاقه ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى ممرّ المستشفى فى ذهول ، صائحًا :

ــ يا للشيطان !!

التفت الجميع إلى حيث ينظر ، وهتفوا بدورهم :

ــ يا للشيطان !!

فقد كان (أحمد) يجلس على مقعد متحرّك ، ويمد أمامه ساقه المكسورة ، على حين يحمى جسده بلوح من الصلب ، انتزعه (أدهم) من النافذة ، وخلفه هذا الأخير ، يدفع مقعده أمامه ، وهو يرفع فوقه مدفعين آليّين ، يصوّبهما إلى (ديلون) ورجاله ..

وكانا أشبه بدبّابة بشرية ، بُدائية الصُّنع ..

وصرخ (ديلون) :

ـ أطلقوا النار يا رجال ..

والعجيب أن أوّل من استجاب لندائه كان (أدهم صبرى) ، الذى أمطره ورجاله بسيل من النيران ، كانت كل رصاصة منها تصيب هدفها فى إتقان عجيب ، على حين راحُوا هم بدوْرهم يُطلقون النيران فى رُعب ، وهم يتراجعون فى ذُعر ، ولكن كل رصاصاتهم كانت ترتطم بالدرع الحديدى ، وترتدّ فى عنف ..

وهتف (أحمد) فى حماس :

ـ يبدو أننا سننتصر يا (أدهم) .

صاح (أدهم) فى سخرية :

ـ رُوَيْدك يا أخى العزيز .. إن عملنا لم ينته بَعْد ..

وواصلا تقدمهما ، وأسقطت رصاصات (أدهم) سبعة من رجال (ديلون) العشرة ، قبل أن يبلغ مِصْعَد المستشفى ، ويدفع شقيقه داخله ، هاتفًا :

ـ للأسف يا عزيزى .. عاجزان مثلنا لا يملكان اختيار وسيلة الهبوط .

وأسرع يضغط زرّ الهبوط ، مستطردًا فى مَرَح :

ـ على الرغم من ثقتى فى طيعة لجنة الاستقبال بأسفل .

وفى أعلى هتف (ديلون) فى غضب :

ـ لا تتركوهما .. تعقّبوهما .

ثم أسرع إلى النافذة ، وأطلّ منها صارخًا :

ـ لقد فرّ ذلك الشيطان وشقيقه ، وهما بطريقهما إلى أسفل ، داخل المِصْعَد رقم (٦) .

اندفع الرجال ، الذين يحيطون بالمبنى ، إلى داخله ، وشهَرُوا مدافعهم الرشاشة فى وجه المِصْعَد ، وهم يراقبون المصابيح المضيئة عند أرقام الطوابق فى أعلاه .

وفجأة ، توقّفت تلك الأرقام عند الطابق الثانى ، فصرخ أحدهم :

ـ ذلك الوغد .. سيهبط فى الطابق الثانى ، بدلًا من الأوّل .. لا رَيْبَ أنه قد توقّع أن ننتظره هنا .

أسرع الجميع يصعدون عَدْوًا وقفزًا إلى الطابق الثانى ، وما إن بلغوه حتى أطلقوا النيران على موضع المِصْعَد فى وحشية ، قبل أن يهتف أحدهم فى سُخط وذُهول :

ـ يا إلهى !!.. إنهما ليسا هنا .

وفى الطابق الأوّل ، كان (أدهم) يعرج فى شدة ، وهو يدفع مقعد شقيقه المتحرّك خارج المِصْعَد ، هاتفًا فى سُخرية :

ـ أرأيت يا أخى العزيز ؟.. هؤلاء البدائيون لا يمنحون عقولهم التدريب الكافى ، حتى أنهم يستجيبون فى سرعة إلى أوّل

خاطر يبدو لهم ، دون دراسة لاحتمالات الخطإ أو الخداع .

ابتسم شقيقه ، قائلًا :

ـ بل أنت الداهية يا (أدهم) .. لقد خدعهم توقّفك بالطابق الثانى كما توقّعت ، فغادروا المكان هنا إليه .

مطّ (أدهم) شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ كان ينبغى أن يتركوا أحدهم على الأقل هنا .

ودفع شقيقه إلى خارج المستشفى ، وهو يستطرد :

ـ المهم هو أن نجد هنا سيّارة ، أصيب قائدها بمسّ من الجنون ، وجاء إلى هنا ، على الرغم من المعمعة ، و .....

قاطعه صوت صارم يقول فى حنق :

ـ لن تجد أيّة سيارة هنا يا (أدهم) .

توقّف (أدهم) ، والتفت جانبًا ، ورأى فوّهة المسدس المصوّبة إلى رأسه ، وخلفها وجه (سونيا جراهام) ، وشفتاها الجميلتان ، وهى تستطرد فى حِدّة :

ـ فقط ربّما تجد بعد لحظات سيّارة خاصّة .

وجذبت إبرة مسدسها ، مستطردة فى مقت :

ـ سيّارة نقل الموْتى ..

وضغطت زناد مسدسها ..

ودوّى الطلق النارى ..

وأصاب هدفه ..

* * *

٥ ـ المُطَارَدَة ..

كان الطلق النارى مفاجئًا للجميع ..

إنه لم ينطلق من مسدس (سونيا) ..

بل أصابه ..

وصرخت (سونيا) فى ألم وغضب وذهول ، عندما طار مسدسها بعيدًا ، ورأت سيّارة تندفع نحوها فى سرعة ، وتتوقّف بصرير إطارات عنيف ، أمام (أدهم) و (أحمد) تمامًا ، ويهتف قائدها بالعربية :

ـ اقفزا بسرعة .

صرخت (سونيا) فى غضب :

ـ مستحيل !!

ثم انقضّت على (أدهم) ، صارخة :

ـ إلىّ يا رجال .

صفعها (أدهم) على وجهها صفعة قويّة ، وهو يقول فى سُخرية :

ـ كلّا يا عزيزتى (سونيا) .. فمازلت قادرًا على هزيمتك ، حتى بساق واحدة ..

سقطت أرضًا فى عنف ، وعادت تصرخ :

ـــ إلىّ يا رجال .

كان (أدهم) يتعاون فى تلك اللحظة ، مع قائد السيّارة ، على نقل (أحمد) إلى مقعدها الخلفىّ ، ثم قفز إلى جوار السائق ، هاتفًا فى سُخرية :

ـــ إلى اللقاء فى مدينة أخرى يا عزيزتى (سونيا) .

انطلق سائق السيارة بسرعة كبيرة ، وهى تصرخ :

ـــ إنك لن تغادر (مارسيليا) حيًّا .

تناهى إلى مسامعها صوت ضحكته الساخرة ، والسيّارة تنطلق مبتعدة ، فى نفس اللحظة التى هبط فيها الرجال لنجدتها ، فصرخت بهم ، وهى تشير إلى السيّارة المبتعدة :

ـــ الحقوا به .. لقد هرب .. الحقوا به .

ولم تكد تتمُّ عبارتها ، حتى قفز عشرة رجال داخل ثلاث سيّارات ضخمة ، اندفعت كلها فى آن واحد خلف سيّارة (أدهم) ..

وبدأت المطاردة ..

مطاردة المَوْت ، فى شوارع (مارسيليا) ..

* * *

تطلّع (أدهم) إلى مرآة السيّارة المجاورة له ، وقال فى هدوء ، وكأنما يصف أمرًا لا يعنيه كثيرًا :

ـــ إنهم يطاردوننا .

غمغم الدكتور (أحمد) فى توتُّر :

ـــ يا إلهى !!

على حين غمغم السائق فى هدوء :

ـــ هذا أمر طبيعى .

ولم يكن ذلك السائق ، الذى ظهر فجأة ، وأنقذ (أدهم) وشقيقه من موت محتّم ، سوى النقيب (سمير) ، الذى استطرد بنفس الهدوء :

ـــ إنهم لن يسمحوا بأن تُفلت الفريسة منهم على هذا النحو .

قال هذا ، وهو يضغط دوّاسة الوقود بأقصى قوة ، فتزيد السيّارة من سرعتها ، على نحو بالغ الخطورة ، فالتفت إليه (أدهم) ، وسأله :

ـــ قل لى .. كيف ظهرت هكذا فجأة ؟.. وما الذى أتى بك إلى (مارسيليا) ؟

ابتسم (سمير) ، وقال وهو ينحرف فى قوة فى شارع جانبى :

— لقد كنت أترقّب حدوث شيء ما ، ولقد أرسلني أبي .. أعني السيد المدير ، لمراقبتك وحمايتك .

غمغم (أدهم) في سُخرية :

— حمايتي ؟!

ثم تجاهل الحديث في هذا الأمر تمامًا ، وعاد يتطلّع إلى مرآة السيّارة ، مستطردًا :

— لقد اقتربوا على نحو خطر ، و .....

وقبل أن يتمّ عبارته ، انهالت الرصاصات على زجاج السيّارة الخلفيّ ، وانفتح الجحيم بأوسع أبوابه ..

* * *

« اطمئني ياعزيزتي (سونيا) .. إنه لن يذهب بعيدًا ..» ..

قالها (موروا) في هدوء ، وهو يلتقط أنفاس سيجاره الضخم ، وينفث الدُّخان في قوّة ، ويبتسم تلك الابتسامة المقيتة ، التي تكشف عن أسنانه الصفراء ، وتزيد وجهه قُبحًا وبشاعة ، فالتفتت إليه (سونيا) في حركة حادّة ، وهتفت في سُخط :

— أطمئن ؟!.. ألم تدرك بعدُ مَنْ تطاردون ؟ .. ألم يلقّنك حادث المستشفى شيئًا ؟

عقد حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— حادث المستشفى لا يعني أكثر من أن هذا الوغد قد سرق منّا زمام المبادرة ، بوسيلة ما ، وأنه أذكى من رجالنا بعض الشيء ، وأننا لم نحسن تنظيم قواتنا ، و .....

قاطعته هاتفة في سُخط :

— وأنه لا قِبَلَ لكم به .

صاح في وجهها غاضبًا :

— كفَى يا (سونيا) .. لا أحد يتحدّث إلى (موروا) بهذا الأسلوب ، حتى ولو كانت فاتنة شقراء مثلك .

أدركت بغضبته أنها لم تحسن التصرُّف ، فلانَ صوتها ، ولانت ملامحها ، وهي تقول في دلال :

— معذرةً يا مسيو (موروا) .. إنني أعلم مَنْ أنت ، وأقدِّرُ قوّتك ، ولكن مطاردة ذلك الشيطان المصريّ تصيبني دوْمًا بالتوتُّر والعصبيّة .

ابتسم ، وهو يرفع حاجبيه ، مغمغمًا :

— دوْمًا ؟!

أسرعت تقول :

— أعني المطاردات عامّة .

أطلق ضحكة مجلجلة ، بدت لها أشبه بصهيل خيول

مريضة ، حتى أنها قد أورثتها شعورًا بالغثيان ، قاومته فى صعوبة ، وهى تقول :

ــ كل المطاردات .

اقترب منها ، وابتسم ابتسامته المقيتة فى وجهها مباشرة ، وهو يقول :

ــ ليس هناك مايدعو للتوتر هذه المرّة يا (سونيا) ، فهناك ثلاث سيّارات تطارد شيطانك المصرىّ هذا ، على متنها سبعة من أفضل قناصينا ورماتنا ، ويقودها ثلاثة من أبطال السباق السابقين .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ــ صدّقينى .. ليس لديه ذرّة أمل هذه المرّة ..

* * *

انحنى (أدهم) و(سمير) و(أحمد) بصورة غريزية ، فور انطلاق الرصاصات ، التى حطّمت زجاج السيّارة الخلفىّ ، ومرقت من الأمامىّ ، وأصابت جسم السيّارة نفسه فى مواضع مختلفة ، فزاد (سمير) من سرعتها ، وهو يهتف :

ــ هؤلاء الأوغاد يجيدون الرماية كثيرًا .

اعتدل (أدهم) ، وتطلّع إلى مرآة السيّارة الجانبية ، قائلًا :

ــ ليس كثيرًا ، وإلّا قتلونا من الضربة الأولى ، أو أصابوا إطارات السيّارة على الأقل ، ولكن قيادتهم جيّدة للغاية ، ولا يعوقهم سوى أن سياراتهم أكثر ضخامة ، و .....

هتف فجأة :

ــ انحرف إلى اليسار .

وعلى الرغم من أن الأمر قد جاء مفاجئًا تمامًا ، إلّا أن (سمير) أطاعه على نحو رائع ، يؤكّد قدرة رجال المخابرات المصرية ، على الاستجابة للمتغيرات المفاجئة ، وانحرف فى ذلك الطريق الجانبىّ الضيّق ، وهو يهتف :

ــ لماذا طلبت ذلك ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ــ حتى يمكننا تبادل مكانينا .

هتف الدكتور (أحمد) فى ذُعر :

ــ (أدهم) .. لا تنسَ أنَّ قدمك مصابة ، و .....

قاطعه (أدهم) فى صرامة ، وهو يقفز مكان (سمير) ، الذى تبادل معه الأمكنة بحركة بهلوانية معقّدة ، دون أن تتوقّف السيّارة :

ــ خطأ يا أخى العزيز .

واحتل مقعد القيادة ، وهو يستطرد :

— العمل الوحيد ، الذى يمكننى أداؤه بساق مصابة ، وبنفس الكفاءة، هو قيادة السيّارات .

وفجأة ، خُيّل للرجلين أن السيّارة قد زادت من سرعتها بغتة ..

أو أن سرعتها قد تضاعفت ..

وعلى الرغم من ثقة (سمير) بأنه كان يقودها بأقصى سرعة يسمح بها محرّكها ، إلا أنه قد لاحظ بمنتهى الدهشة زيادة سرعتها ، فهتف :

— يا إلهى !!..

ابتسم (أدهم) فى سُخرية، وهو يندفع أمام السيّارات الثلاث مغمغمًا :

— هيّا يا (أدهم) .. استعِد نشاطك وقُدراتك .. هيّا .. عُد إلى سابق عهدك .

كانت سرعته مغرية للسيّارات الثلاث ، فهتف أحد قادتها ، وهو بطل سباق (فرنسا) السابق :

— ذلك الوغد يتصوّر أنه يقود فى براعة .. فلنلقّنه درسًا .

انطلقت السيّارات الثلاث بكامل سرعتها خلف سيّارته ، وهو يغمغم فى سُخرية :

— حاولوا أن تستوعبوا ذلك الدرس أيها الأوغاد .. صغار الحجم أقدر على المراوغة من الأفيال .

وفجأة ، ضغط كمّاحة سيارته ، فبدت وكأنها تتراجع أمام السيّارات الثلاث ، التى ضغط قائدوها كمّاحاتها بدورهم ، وهم يهتفون :

— اللعنة !!

ولكن فجأة استعاد (أدهم) سرعته ، ومال بسيارته جانبًا ، وانتقل بها إلى الطريق العكسىّ ، وهو يهتف :

— خلفى أيها الأوغاد .

كان يراوغ السيّارات المندفعة نحوه ، على الطريق العكسىّ ، فى مرونة منقطعة النظير ، يساعده عليها حجم سيّارته الصغيرة ، وعندما انتقلت السيارات الثلاث الأخرى، لمطاردته ، كان حجمها الضخم عائقًا كبيرًا ، وكادت إحداها ترتطم بسيّارة أخرى ، فانحرف بها سائقها على نحو بالغ الخطورة ، وصرخ المارّة حينما رأوها تقفز ككرة مطاطية ، وتنزلق كما لو كانت تزحف فوق جليد زلق ، ثم ترتطم بجدار بناية ضخمة ..

وأطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— ها هو ذا العدد قد تقلّص إلى سيارتين فحسب .

صرخ الدكتور (أحمد) فى ذُعر :

— هذا يتعارض مع عدد دقات قلبى ، التى ارتفعت إلى خمسة أضعاف .

أطلق (أدهم) ضحكة أخرى ، وقال :

— حاول أن توقفها عند ذلك الحدّ يا أخى العزيز ، فلقد بلغنا الطرق السريعة ، والرحلة من هنا إلى (موناكو) تستغرق وقتا لا بأس به .

هتف فى دهشة :

— هل ستذهب بنا إلى (مونت كارلو) ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— ولِمَ لا ؟.. إنها أكثر قُربًا من (باريس) ، وكل ما نسعى إليه فى النهاية هو مطار .. أليس كذلك ؟!

قال (سمير) فى قلق :

— هذا صحيح ، إذا ما وصلنا إلى هناك ، فلقد انتقلنا بالفعل إلى الطرق السريعة ، وأحب أن أنبهك إلى نقطة هامة ، فهنا تفقد السيارات الصغيرة مميّزاتها ، وتبدأ الكبيرة فى حيازتها .

ولم يكن (أدهم) يحتاج فى الواقع إلى هذا القول ، فقد كان يدرك ، بالتطلّع إلى مرآة سيارته ، أنه على حقّ ؛ إذ كانت السيّارتان تقتربان منه فى سرعة كبيرة ..

وكانت هناك فُوّهات خمسة مدافع رشاشة تطلّ من نوافذها ..

وكانت هناك ابتسامة ..

ابتسامة المَوْت ..

* * *

٦ — ساحة المعركة ..

عقد (بلوميه) حاجبيه الكثّين فى اهتمام ، وداعب شاربه الضخم ، وهو يتطلّع إلى الخريطة الضخمة ، التى فردها (فنتورا) فى مكتبه بالميناء ، وقال وهو يشير إلى خط أحمر ، رسمته (سونيا) عليها :

— إذن فأنت تعنين أن ذلك الشيطان يتجه إلى (مونت كارلو) مباشرةً .

أجابته فى توتُّر :

— هذا ما يشير إليه خط سيره ، طبقًا لما أبلغنا به رجال (مورو) لاسلكيًا .

وهنا هتف (مورو) فى غضب :

— أظن أنه من الواضح أننى أحمل المهمة كلها على عاتقى منذ البداية ، فرجالى هم الذين اقتحموا المستشفى ، وهم الذين يطاردون الرجل الآن ، ولقد خسرت سيّارة ، وأصيب ثلاثة من أفضل رجالى ، و .....

قاطعه (فنتورا) فى سُخط :

— كفَى .

ثم أشعل سيجاره الضخم ، وراح يلهث كعادته ، ويمسح عرقه الذى لا يجف أبدًا ، وهو يستطرد فى توتر :

— أنت اخترت أن تلعب هذا الدَّوْر .. واللُّعبة لم تنته بعْدُ .

ثم التفت إلى الخريطة ، مستطردًا :

— هل تمتلك شيئًا فى (مونت كارلو) يا (بلوميه) ؟

هزَّ (بلوميه) رأسه ، مغمغمًا :

— كلَّا .. لا سيطرة لنا هناك .

عقد (فنتورا) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

— هذا يعنى ضرورة إيقاف ذلك الشيطان ، قبل أن يبلغها .

صمت لحظة ، وهو يجفِّف عرقه أمام الخريطة ، ثم قال فى حزم :

— فليكن .. سنرسل (موريس) ورجاله إلى (مونت كارلو) ، على متن واحدة من طائراتنا الخاصَّة ، لانتظار ذلك الشيطان هناك ، وسنبعث خلفه اثنتين من طائرات الهليوكوبتر ، مع أربعة من أمهر قناصينا .

هزَّ (موروا) رأسه فى ضيق ، ولوَّح بذراعه ، هاتفًا :

— إنكم تعقِّدون الأمور .. أؤكِّد لكم أن السيارتين الباقيتين من رجالى ستوقعان به .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

— لا ضَيْر من الاحتياط يا مسيو (موروا) .

ابتسم فى وجهها ، وهو يقول :

— لماذا يا عزيزتى (سونيا) ؟.. ألا تثقين فى قدراتى ؟

غالبت شعورها بالاشمئزاز فى صعوبة ، وهى تبتسم فى وجهه ، مغمغمة :

— عزيزى (موروا) .. هل لك أن تؤدِّى لى خدمة ، لن أنساها لك مدى الحياة ؟

تهلَّلت أساريره ، وهو يهتف فى حماس :

بِمَ تأمرين يا عزيزتى (سونيا) ؟

صرخت فى غضب :

— لا تبتسم ..

* * *

ابتسم (أدهم) ابتسامة واسعة ، وهو يقول فى هدوء :

— يا إلهى !.. كم كنت أتوق إلى بعض النشاط !!

اتسعت عينا الدكتور (أحمد) ، وهو يهتف :

— نشاط ؟!.. إنها عملية قتل يا (أدهم) .

أجابه وهو ينحرف بسيارته بغتة :

— ليس بعد ..

انحرفت خلفه سيارتا المطاردة ، وانهالت عليه رصاصات المدافع الرشاشة ، فراح ينطلق على نحو متعرّج ، وهو يهتف :

— أين مسدسك يا صديقي ؟

انتزع (سمير) مسدسه ، وهو يقول مبتسمًا :

— لقد فهمت .

وقفز إلى المقعد الخلفيّ ، محاذرًا لمس قدم الدكتور (أحمد) المكسورة ، وهو يقول :

— معذرة يا سيدى . ولكنها الحرب .

كانت الرصاصات تنهال كالمطر ..

وكان (أدهم) ينطلق بالسيارة فى سرعة بالغة ..

وفى مسار بالغ التعرُّج ..

ولكن (سمير) ظلّ هادئًا ..

ودون أن ترتجف فى جسده شعرة واحدة ، صوّب مسدسه نحو إطارات أقرب السيارتين إليه ، و .....

أطلق النار ..

وانفجر الإطار الأماميّ الأيسر للسيارة فى قوة ، وقفزت من مكانها وكأنما أصابتها قنبلة ، ثم انقلبت ، وراحت تتقلب فى عنف ، حتى انفجرت فجأة بدوىّ هائل ، فصرخ قائد السيارة الباقية فى غضب وثورة وسخط لا مثيل لها :

— اللعنة !!.. لقد قتلهم .. قتل رفاقنا يا رجال .

أثارت الصرخة جنون القناصة الثلاثة ، الذين يشاركونه سيارته ، فراحوا يمطرون سيارة (أدهم) بالرصاصات ، وضحك هو ساخرًا ، وهو يقول :

— من الواضح أن هؤلاء الأوغاد لم يلتقطوا الدرس بعد يا صديقي ، فهم يسرفون فى إطلاق النار ، دون أن يربحوا بذلك شيئًا ، على حين لم تطلق أنت سوى رصاصة واحدة ، ربحنا بها نصف المعركة .

ابتسم (سمير) بدوره ، وقال :

— وماذا أفعل يا سيادة المقدّم ؟.. إن أوامر الإدارة تقتضى ضرورة توفير المصاريف والنفقات .

أطلق (أدهم) ضحكة مرحة ، وهو يقول :

— صدقت .

هتف الدكتور (أحمد) :



وانفجر الإطار الأمامى الأيسر للسيارة فى قوة ، وقفزت من مكانها وكأنما أصابتها قنبلة ، ثم انقلبت ، وراحت تنقلب فى عنف ..

ــ يا إلهى !!.. لولا أن (أدهم) يجلس معنا ، لتصوَّرت أنك نسخة منه فى شبابه يا (سمير) .

تهلَّلت أسارير (سمير) ، على الرغم من دِقَّة الموقف ، والرصاصات المنهمرة ، وهتف فى سعادة :

ــ أنا ؟!.. يا إلهى !.. سيِّدى .. إنك تثلجُ صدرى بهذه العبارة .

وعاد يجذب إبرة مسدسه ، مستطردًا :

ــ وتحفِّزنى على إثبات تلك الحقيقة ، أو حتى محاولة التقرُّب منها .

وعاد يصوِّب مسدسه إلى إطارات السيَّارة الأخيرة ، و.....

وفجأة ، انطلق نفير قوى ، وهتف (أدهم) :

ــ يا إلهى !!

استدار الجميع إلى الأمام ، ورأوا سيارة بالغة الضخامة ، من نوع حاملات البضائع الهائلة ، تندفع نحوهم على الطريق الضيِّق ..

وكانت سرعة السيارة تحول دون تلافى الاصطدام ..

ولقد ظهرت السيارة العملاقة فجأة ، من منحنى قريب ..

واختلَّت كل الأمور ، وصرخ الدكتور (أحمد) :

ـــ يا إلهى !!.. إنها النهاية !! النهاية !! .

* * *

عقد (موروا) حاجبيه فى غضب ، وهو يهتف ساخطًا :

ـــ لقد فقدت سيَّارة أخرى ، وثلاثة رجال آخرين .

صاحت (سونيا) فى غضب :

ـــ ألم أقل لكم ؟

توتَّر (فنتورا) فى شِدَّة ، وراح يجفِّف عرقه فى عُنف ، وهو يقول :

ـــ لم نخسر كل شىء بعد .. ليس بَعْدُ .

هتفت (سونيا) :

ـــ ولكننا سنخسر كل شىء ، لو واصلتم تجاهلكم لقُدرات هذا الرجل .

قال (موروا) فى حِدَّة :

ـــ كفَى يا (سونيا) .. إن رجالى يؤكدون أنه هناك شاب آخر ، هو الذى يُطلق النار ، وهو الذى دمَّر السيَّارة الثانية .

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول فى حِدَّة :

ـــ شابٌ آخر ؟!

أشعلت سيجارتها فى توتُّر وعصبيَّة ، وقالت فى حَنق :

ـــ أكلهم كذلك ؟!.. أكل رجال تلك المخابرات اللَّعينة كذلك ؟

هتف (بلوميه) :

ـــ كل رجال المخابرات فى العالم كذلك يا (سونيا) .

نفثت دُخانَ سيجارتها فى عصبيَّة ، وهى تهتف :

ـــ ليس كلهم .

ثم أضافت فى حِدَّة :

ـــ ولكن من الضرورىّ التخلُّص من ذلك الشيطان أوَّلًا ، فهو أخطرهم .. أخطرهم جميعًا ..

ارتفع صوت أزيز متقطع ، من مكتب (فنتورا) ، فأسرع هذا الأخير يفتح درج مكتبه ، ويضغط زرًّا داخله ، فارتفع صوت يقول ، عَبْر جهاز لاسلكى خاصّ :

ـــ هنا (هـ ـــ ١) .. نحن فى طريقنا إلى الهدف ..

هتف (فنتورا) فى لهفة :

ـــ انطلقا بأقصى سرعة ، أنت و (هـ ـــ ٢) ، والحقا به ، ودمِّراه على الفوْر ..

ران الصمت لحظة ، ثم هتف الصوت ، عَبْر جهاز اللاسلكىّ :

— إننا نرى الهدف ، ونقترب منه .. ولكن .....

صمت لحظة أخرى ، ثم هتف فى انفعال :

— لقد ظهرت سيارة عملاقة من المنحنى المواجه .. إنها ستصطدم بالهدف حتمًا .. ستصطدم به و ... يا للشيطان !!

وعبَر جهاز اللاسلكىّ ..

وبصوت خافت ، ولكنه واضح مسموع ، سمع جميع مَنْ يضمهم مكتب (فنتورا) صوْت انفجار ..

انفجار سيارتين ارتطمتا وجهًا لوجه ..

* * *



٧ — طائرتان وسيارة ..

برزت السيّارة العملاقة فجأة فى المنحنى ..

برزت كفيل ضخم ، باغت أرنبًا صغيرًا ، فى منحنى ضيق من منحنيات غابة هائلة ..

وكان الطريق ، فى هذه المنطقة بالذات شديد الضيق ..

كان هناك منحدر هائل إلى يمين سيارة (أدهم) ..

وتل مرتفع إلى يسارها ..

وكانت سيارة النقل العملاقة تحتل وسط الطريق تمامًا ، ولا تترك سوى شريط ضيّق على جانبيها ..

وصرخ الدكتور (أحمد) :

— إنها النهاية ..

واتسعت عينا (سمير) ، وتجمّدت الدّماء فى عروقه تمامًا ..

ولكنْ (أدهم) بقىَ متمالكًا جأشه ..

هو الوحيد الذى سيْطر على أعصابه ، واحتفظ بهدوئه ، وأخضع له عجلة القيادة ..

كل ما اختلف فيه ، هو أنه عقد حاجبيه فى صرامة ..

ومرّة أخرى أثبتت السيّارات الصغيرة كفاءتها ، فى الظروف العسيرة ..

لقد أمسك (أدهم) عجلة القيادة بكلتى قبضتيه فى عنف ، وصاح فى صرامة :

ـ أخفضا رأسيكما .

خفض (أحمد) و (سمير) رأسيهما فى سرعة ، وانحنى (أدهم) يسارًا فى سرعة وخفّة ، وترك إطارات سيارته اليسرى تصعد التل ، واندفع بسرعة رهيبة ، وهو يعتصر دوّاسة الوقود فى أرضية السيّارة ، بحيث مرق من ذلك الشريط الضيّق ، الذى تركته السيّارة العملاقة بينها وبين التل ..

وتحطّم سقف السيّارة الصغيرة ، وهى تنطلق بزاوية مائلة ، تزيد على الثلاثين درجة ..

وطار السقف بعيدًا فى عنف وقوّة ..

وارتطم بسيارة رجال (مورو) ..

وفى هذه المرّة كان من المستحيل أن يتخذوا حذوَ (أدهم) ..

كانت سيارتهم أضخم من أن يفعلوا ..

كل ما فعلوه هو أن أطلقوا صرخة ..

صرخة هائلة ..

ثم وقع الارتطام ..

واصطدمت سيارة المجرمين ، بسيّارة النقل العملاقة ، وجهًا لوجه ..

وكان انفجارًا هائلًا .

هائلًا بحق ..

* * *

قفزت (سونيا) من مكانها ، هاتفة فى فرح :

ـ لقد انتهى .. انتهى (رجل المستحيل) .

انتفخت أوداج (مورو) ونفث دُخان سيجارته فى قوّة ، وهو يهتف فى زهو :

ـ ألم أقل لكم ؟

عانقته (سونيا) فى سعادة ، وهى تهتف :

ـ واعزيزى (مورو) .. ابتسم .. ابتسم دومًا .. إن ابتسامتك تبدو لى أشد الابتسامات جاذبية ، بعد أن فعلت ما عجزت عنه أشد القوى فى العالم .

ابتسم (مورو) ابتسامة واسعة ، على حين عقد (فتورا)



قاطعه (فنتورا) في غضب هائل :
ـ أأنت واثق مما تقول ؟!

و (بلومبه) حواجبهما في غيرة ، عندما ارتفع أزيز جهاز اللاسلكي ، في درج مكتب الأول ، فضغط زرّ الاتصال في حنق ، قائلاً :

ـ حسنًا .. لقد فهمت .. لقد انفجرت سيّارته .. أليس كذلك ؟

تجمّدت الدماء في عروق الجميع ، عندما ارتفع صوت قائد الهليوكوبتر يهتف في ذُهول ، لم يفارقه بَعْدُ :

ـ كلّا يا مسيو (فنتورا) .. ليس هذا ما حدث .. لقد نجا ذلك الشيطان .. نجا بحركة بهلوانية ، شيطانية ، مُذهلة .. ذلك الانفجار الذي سمعته هو صوت ارتطام سيّارة رجال مسيو (موروا) الأخيرة ، بسيّارة النقل العملاقة .. أما ذلك الشيطان ، فقد أتى عملًا لم أشاهده ، حتى في أفلام الـ .....

قاطعه (فنتورا) في غضب هائل :

ـ أأنت واثق مما تقول ؟!

شحُب وجه (سونيا) في شِدّة ، وأرخت ذراعيها من حول عنق (موروا) ، وتراجعت في ذُهول وامتقاع ، وقائد الهليوكوبتر يهتف :

ـ تمام الثقة يا مسيو (فنتورا) .. لقد تركت الحادث خلفي .

وها هو ذا ذلك الشيطان ينطلق أمامي .. كل ما حدث هو أنه قد فقد سقف سيارته .

احتقن وجه (فنتورا) في شدة ، وهو يهتف :

ــ الحق به أيها الغبي .. الحق به أنت وزميلك ، وأمطراه برصاصاتكما .. أريد منك أن تبلغني خبر القضاء عليه في أقرب وقت .

وأنهى الاتصال في عنف ، وبقي صامتًا ، محتقن الوجه ، وران الصمت على المكان كله ، حتى تنحنح (مورو) في توتر ، وقال في خفوت :

ــ إننا لم نخسر بعد .

ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، مستطردًا :

ــ ستقتنصه طائرتنا (فنتورا) حتمًا .

التفتت إليه (سونيا) ، وتطلعت إليه بملامح جامدة ، ونظرة خاوية ، وهي تقول :

ــ مسيو (مورو) .

مال نحوها بابتسامته الباهتة ، مغمغمًا :

ــ نعم يا عزيزتي (سونيا) .

صرخت في ثورة :

ــ لا تبتسم ..

* * *

لم يصدق (سمير) و (أحمد) نفسيهما ، عندما اعتدلت سيارة (أدهم) مرة أخرى على الطريق ، مع دوي الانفجار الهائل خلفها ، وبعد أن فقدت سقفها ، وسمعا (أدهم) يقول ضاحكًا :

ــ ما رأيكما ؟

اتسعت عينا (أحمد) ، دون أن يتفوه بحرف واحد ، على حين هتف (سمير) مبهورًا ، مشدوهًا :

ــ إنك أستاذ .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ أراهن أنك كنت تستطيع أن تفعل مثلها .

هتف (سمير) :

ــ مستحيل !!

أجابه (أدهم) مبتسمًا في تعاطف أبوي :

ــ كل ما تحتاج إليه هو قليل من الخبرة .

هتف (سمير) :

ــ بل الكثير منها .

قال (أحمد) في توتر :

ــ معذرة لقطع حديثكما ، ولكنّ هناك طائرتي هليوكوبتر تطاردانا .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى ارتفع هدير مِرْوَحتى الهليوكوبتر على نحو واضح ، وهتف (أدهم) ساخرًا :

ــ يبدو أن مثل تلك المطاردات لا تنتهى أبدًا .

وهنا انهال عليهما سيل من الرصاصات ، وصاح (سمير) :

ــ انطلق بأقصى سرعة يا سيِّدى ..

انطلق (أدهم) بأقصى سرعة ، وراح يندفع فى خطٍّ متعرِّج ، كما فى المطاردة السابقة ، إلَّا أن إحدى الطائرتين بقيت خلفه ، على حين تجاوزته الأخرى ، واستدارت تواجهه ، وراحتا تطلقان النار على السيَّارة فى غزارة ، وهتف (سمير) :

ــ يا إلٰهى !!.. لقد حاصرتانا هذه المرَّة يا سيِّدى ، وإنها لمعجزة أننا استطعنا تفادى رصاصاتهما حتى الآن .

هتف به (أدهم) :

ــ أطلق النار يا صديقى .. إنهما تحلِّقان على ارتفاع منخفض .

أطلق (سمير) رصاصتين ، أصابتا جسم الهليوكوبتر الأمامية ، وارتدَّتا عنه فى قوَّة ، فهتف فى يأس :

ــ إنهما مصفَّحتان .

ألقى (أدهم) نظرة سريعة ، على الطائرة الأمامية ، ثم قال :

ــ لاحظ أنها غير مزوَّدة بمدافع رشاشة خاصَّة ، لذا فهى تعتمد على وجود قنَّاصة محترفين ، وهذا يستتبع فتح النوافذ ، لإطلاق النار منها .

هتف (سمير) :

ــ هذه النوافذ تبدو من تلك الزاوية مسطَّحة ، بحيث يستحيل التصويب عليها بدقَّة ، خاصَّة مع تلك السرعة ، وبذلك المسار المنحنى ، الذى تتخذه .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وتوقَّف بصره عند صخرة تحدِّد بدء طريق جانبى ، وقال فى صرامة :

ــ سأجعلها فى مستوى أفقى إذن .

ثم هتف فى حزم :

ــ تشبَّثا .

وفى اللحظة التالية ، حدث ما لا يصدِّقه عقل ، وما جعل قائد الهليوكوبتر الخلفية والقنَّاصين داخلها يتسمَّران فى ذهول جارف ..

لقد توجَّه (أدهم) نحو الصخرة تمامًا ، ودفع عجلاته الأمامية لترتطم بها ، ثم ترك سيَّارته تقفز .. بل تطير فى الهواء ، حتى أن قائد الهليوكوبتر الأمامية قد فوجئ بها فى محاذاته تمامًا ، على ارتفاع عشرة أمتار ، وسمع (أدهم) يصرخ :

— القائد يا (سمير) .

وباستجابة رائعة مدهشة ، أدار (سمير) فوّهة مسدسه ، وأطلق النار على رأس قائد الهليوكوبتر تمامًا ، قبل أن تعاود سيّارة (أدهم) هبوطها ، وترتطم إطاراتها بالأرض فى قوّة ، ويتأوّه الدكتور (أحمد) فى آلام رهيبة ، وتقفز السيّارة مرّة أخرى ، ثم تستقر أرضًا ، وتواصل اندفاعها ..

أما قائد الهليوكوبتر ، فقد أصابت الرصاصة جبهته ، وانحرفت عنها ، فصرخ فى ألم ، وأمسك جبهته هاتفًا :

— اللّعنة !!

وهنا فقدت الهليوكوبتر توازنها ، ومالت فى عنف ، وصرخ القنّاصان داخلها :

— كلّا .. احترس ..

ولكنّ قُرب الهليوكوبتر من الأرض ، كان يحول دون استعادة توازنها فى الوقت المناسب ، ولقد كادت ترتطم بالهليوكوبتر الأخرى ، لولا أن ارتفع بها قائدها فى اللحظة الأخيرة ، وتحطّمت مراوح الهليوكوبتر على أسفلت الطريق ، ثم ارتطمت به فى عنف ..

ودوّى الانفجار ..

وخسر المطاردون سلاحًا جديدًا ..

* * *

ضرب (فنتورا) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يصرخ فى غضب :

— لقد فقدت هليوكوبتر .. كيف يحدث هذا ؟.. كيف يمكن لرجلين عاجزين وشاب ، أن يهزموا ثلاث سيّارات وهليوكوبتر ؟

غمغمت (سونيا) فى مزيج من المقت والسُّخط :

— لو أن (أدهم) وحده ، ما اختلفت النتيجة كثيرًا .

صاح بها فى حنق :

— هذا الرجل ليس أسطورة يا (سونيا) .. إنه مجرّد رجل مخابرات ، مهما بلغت قوّته ، فهو مجرّد رجل مصاب فى ساقه .

غمغمت فى مرارة :

— هناك من الرجال من يفوقون جيشًا كاملًا ، حتى ولو بترت نصف جسدهم .

عقد (بلوميه) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ أتؤيّدينه يا (سونيا) ؟.. أم أنك تحاولين إحباطنا ؟
لوّحت بذراعها ، وهى تهتف فى سُخط :
ـ لا هذا ولا ذاك .. إننى فقط أسعى لجعلكم تقدّرونه حقّ قدره .
هتف (فنتورا) فى غضب :
ـ وما الذى سيضيفه ذلك إلى ما نفعله ؟.. هه !!
عقدت حاجبيها فى ضيق ، وغمغمت :
ـ لست أدرى .
ثم تمتمت فى مرارة :
ـ على أيّة حال ، مازالت لدينا هليوكوبتر أخرى .
ودمعت عيناها ، وهى تغمغم :
ـ ومَنْ يدرى ؟..

* * *

تأوّه الدكتور (أحمد) فى ألم ، عندما هبطت السيّارة على الأرض فى قوّة ، وقفزت فى عنف ، وصرخ وهى تعاود انطلاقها على الطريق :
ـ احترس يا (أدهم) .. إنك ستفعل ما يسعَوْن إليه هُمْ .. ستقتلنا .. إن ساقى تؤلمنى فى شدّة .

غمغم (أدهم) :
ـ وكذلك ساقى .
هتف (سمير) فى قلق :
ـ دع لى عجلة القيادة يا سيّدى .. إنك تحتاج إلى بعض الراحة .
أجابه (أدهم) فى صرامة :
ـ ليس الآن .
وراح يراوغ الرصاصات المنهمرة ، بالانطلاق فى خطٍّ متعرّج ، شديد التعقيد ، وهو يقول :
ـ حاول أن تصيب قائد تلك الهليوكوبتر الثانية يا (سمير) .. حاول .
هتف (سمير) فى مرارة :
ـ مستحيل يا سيّدى !! زاوية الانطلاق تجعل ذلك مستحيلاً .
برقت عينا (أدهم) بغتة ، وهو يهتف :
ـ أنت على حق .
اعتدل (أحمد) ، وتناسى آلام ساقه بغتة ، وهو يقول :
ـ (أدهم) .. هناك نبرة غريبة فى صوتك .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ وهناك نفق قريب أيضًا يا أخى العزيز .

تطلّع (أحمد) و (سمير) فى اهتمام إلى ذلك النفق القصير ، الذى يبدو واضحًا ، على بعد كيلومترات قليلة ، والذى يَعْبُرُ فوقه شريط القطار ، وغمغم (أحمد) فى توتُّر :

ـ لست أخالك تتصوَّر قائد الهليوكوبتر بتلك الحماقة ، بحيث تدفعه إلى الارتطام بالنّفق .

ابتسم ، وهو يقول :

ـ إننى لم أتصوَّر هذا بالطبع .

عقد (سمير) حاجبيه ، وهو يسأله فى قلق ، متطلّعًا إلى الهليوكوبتر ، التى تنقضّ فى شراسة :

ـ ما الذى تسعى إليه يا سيادة المقدّم ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ اسمع يا (سمير) .. إننا الآن نسبح ضد التيار ، فى نهر أسود بغيض ، يفيض بالكراهية ، والرغبة فى الانتقام .. وفى مثل هذا النهر الأسود ، ينبغى لك أن تستغل أخطاء خصمك ، وقصور نظره ، وتفكيره ، وهذا ما سأفعله .

غاصت فى تلك اللحظة رصاصة ، على قيد سنتيمتر واحد من ساق الدكتور (أحمد) المصابة ، وأصابت أخرى حاجز السيّارة ، إلى جوار رأسه ، فهتف فى توتُّر :

ـ أيًّا ما كان ماستفعله ، أسرع يا أخى .. أسرع قبل أن ينالنا أولئك الأوغاد .. أسرع .

ضغط (أدهم) دوّاسة الوقود بسيّارته ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لن ينالوا منّا بإذن الله .

وفى اللحظة نفسها ، عقد قائد الهليوكوبتر الباقية حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ أيّة خطَّة تدور ، فى رأس ذلك الشيطان ؟

رأى (أدهم) يندفع نحو النفق القصير ، فاستطرد فى سُخط :

ـ أيتصوَّر أننا سنندفع خلفه ، فنتحطَّم هناك ؟

غمغم أحد القنّاصين المصاحبين له :

ـ سيكون أغبى رجل فى العالم ، لو أنه يتصوَّر ذلك .

وهتف الآخر فى حِدَّة :

— اسبقه يا (ريمون) ، وسننتظره عند مخرج النفق ، و .....

بتر عبارته ، وأصدر من بين شفتيه صوتًا ، أقرب الشبه إلى طلق نارى ، فابتسم (ريمون) ، وغمغم :

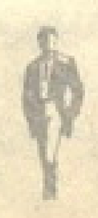
— بالطبع .. هكذا يكون العمل .

وزاد من سرعة الهليوكوبتر ، بحيث عبَر خط السكك الحديدية ، قبل أن تندفع سيارة (أدهم) داخل النفق ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ، هاتفًا :

— سيدرك ذلك الشيطان أنه لا يقاتل الأغبياء .. سيخبرونه بذلك فى الجحيم ..

وأطلق ضحكة شيطانية أخرى ..

* * *



٨ — إلى مونت كارلو ..

تصبّب العرق على وجه (فنتورا) بغزارة تفوق المعتاد ، وراح يلهث فى انفعال شديد ، وهو يقول :

— لقد اعترضت الهليوكوبتر الأخيرة طريق السيّارة ، وهى تنتظرها الآن عند مخرج نفق السكك الحديدية ، فى طريق (مونت كارلو) .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى شك ، وهى تغمغم :

— تنتظرها ؟!

فى نفس اللحظة جاء صوت قائد الهليوكوبتر ، عبْرَ جهاز اللاسلكي ، وهو يقول :

— اللعنة !!.. تلك السيّارة اللّعينة لم تغادر النفق ، لقد بقيت داخله .

ازداد انعقاد حاجبى (سونيا) ، وهى تغمغم :

— بقيت ؟!

وتراجعت لتجلس على مقعد منفصل ، وأشعلت واحدة من سجائرها الرفيعة ، وهى تفكّر فى عمق ، على حين هتف (فنتورا) فى جدّة :

ـ لا ريب أن ذلك الشيطان يحاول التقاط أنفاسه ، قبل أن يواصل الانطلاق .

هتف (موروا) فى انفعال :

ـ مُرْهُمْ بألا يدعوا له الفرصة لذلك .

عقد (فنتورا) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

وراح يلهث فى انفعال شديد ، وهو يقول ، عبْرَ جهاز اللاسلكى :

ـ اهبط أنت إليه يا (ريمون) ، وأرسل قناصينا خلفه .. لو أنه يرغب فى البقاء داخل النفق ، فليكن مثواه الأخير .

استمعت (سونيا) إلى صوت (ريمون) ، وهو يقول :

ـ سأفعل أيها الزعيم .

وازداد انعقاد حاجبيها فى شدة ، وهى تغمغم فى صوت خافت ، لم يسمعه سواها :

ـ لماذا ؟!.. لماذا بقى داخل النفق ؟.. ما الذى يسعى إليه ؟

وفجأة ، اتسعت عيناها ، وهتفت :

ـ يا للشيطان !!.. النوافذ .

ثم هبّت من مقعدها ، صارخة :

ـ كلّا يا (فنتورا) .. مُرْهُمْ بالتراجع .. مُرْهُمْ بأن يفعلوا بأقصى سرعة .

حدّق عمالقة (مارسيليا) الثلاثة فى وجهها بدهشة ، قبل أن يهتف (موروا) فى توتّر :

ـ ماذا تعنين بحقّ الشيطان ؟

لوّحت بكفيها ، وهى تهتف فى ذُعر :

ـ لا وقت للشرح أيها الحمقى .. مُرُوا الرجال بالعودة ، وإلّا اقتنصهم (أدهم) وزميله .

صاح (فنتورا) فى غضب :

ـ كفى يا (سونيا) .. لسنا تابعين لك ، لنطيع أوامرك هكذا ، دون فهم أو مناقشة .. اشرحى لنا السبب أوّلا .

انتابها اليأس ، وألقت نفسها فوق مقعدها ، وهى تغمغم فى انهيار :

ـ إنها النوافذ .. نوافذ الهليوكوبتر ..

* * *

هبطت الهليوكوبتر إلى ارتفاع ثلاثة أمتار ، وتوقّفت فى الهواء ، وراح قائدها والقنّاصان داخلها يراقبون النّفق المُظلم فى قلق ، قبل أن يغمغم القائد فى توتّر :

ـ أين ذهبت تلك السيّارة اللّعينة بحقّ السماء ؟

غمغم أحد القناصين فى قلق :

ــ لست أدرى .. النفق مُظلم تمامًا من الداخل .

عقد القائد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ سأضىء مصباح الهليوكوبتر داخله ، وسأحيل ظُلمته إلى ضوء النهار .

مال بالهليوكوبتر ليواجه النفق ، ويضىء فيه مصباحها ..

وفجأة ، دوّى صوت رصاصة ، حطمت مصباح الهليوكوبتر ، وقفز من داخل النفق شابٌ نشيط ، قال فى سُخرية :

ــ مرحبًا .

ثم انطلقت رصاصته فى رأس القائد تمامًا ..

وجحظت عينا قائد الطائرة الهليوكوبتر ، وسقطت رأسه فوق عصا القيادة ، وقفز أحد القنّاصين ، محاولاً التشبُّث بالعصا ، ولكن الهليوكوبتر مالت فى شدّة ، وقفز (سمير) إلى الخلف ، حينما تحطّمت مراوحها على الطريق ، وتطايرت فى عنف ، قبل أن تسقط أرضًا ..

ومن داخل النفق ، غمغم الدكتور (أحمد) مبهورًا :

ــ كانت خُطّة رائعة يا (أدهم) .. لقد أجبرتهم على الهبوط ، بحيث صارت نوافذهم فى مستوى شبه أفقى ، جعل (سمير) يجيد التصويب فى مهارة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يتطلّع إلى (سمير) ، قائلاً :

ــ (سمير) هذا شاب رائع يا (أحمد) .. وسيكون من أعظم رجال المخابرات ، فى المستقبل القريب .

ابتسم (أحمد) بدوره ، وهو يقاوم آلامه ، مغمغمًا :

ــ إنه يذكرنى بك فى شبابك .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح ، وهو يفوقنى فى الوقت الحالى .

وفجأة ، رآه (أحمد) يعقد حاجبيه فى غضب ، فابتسم مغمغمًا :

ــ (أدهم) .. هل تغار منه ؟

سمع (أدهم) يقول فى حنق :

ــ نعم .

وأمام عينيه المذهولتين ، انتزع (أدهم) مسدسه ، وأطلق النار نحو (سمير) ..

نحوه مباشرة ..

* * *

أخفى (فنتورا) وجهه المكتظ بين كفّيه ، وراح يهتف فى حنق ومرارة :

ــ اللعنة !!.. اللعنة !!.. لقد فقدت الهليوكوبتر الثانية .. لقد أفقدنى إياها ذلك الحقير .

هتفت به (سونيا) ، بعينين محمرّتين ، نصف باكيتين :

ــ بل أنت فقدتها بحماقتك .. كان ينبغى أن تطيع الأمر .

صرخ فى هياج :

ــ أى أمر ؟.. إننى هنا السيِّد .. الجميع يطيعون أوامرى ، وأنا لا أطيع أوامر أحد .

عقد (بلوميه) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ بالنسبة لرجالك فقط .

أمّا (سونيا) ، فقد لوّحت بذراعها فى حنق ، وهى تهتف :

ــ لقد أضعتم كل شىء .. فقدنا زمام المبادرة ، وزمام سيطرتكم .. فقدنا كل شىء .

صاح بها (موروا) فى غضب :

ــ احترسى أيتها الفتاة .. إنك تتجاوزين حُدودك .

صرخت فى مرارة :

ــ إننى أذكر الحقيقة .. لقد فشلتم .. فشلتم .. لقد اعترفتم بأنفسكم أنه ليست لكم أيّة سَطْوَة فى (مونت كارلو) ، التى يتجه إليها (أدهم) الآن ، ولقد اقترب منها كثيرًا ، حتى أن أيّة هليوكوبتر أخرى ، تنطلق خلفه الآن ، لن تلحق به أبدًا ، قبل أن يصل إلى مطار (مونت كارلو) .. وهذا يعنى الفشل .. الفشل التام .

هتف (بلوميه) فى صرامة :

ــ كفى يا (سونيا) .

ثم فتل شاربه الضخم ، وهو يقول فى حسم :

ــ إننا لم نفشل بعد ، كما تتصوَّرين .

صاحت فى ألم :

ــ ولم نربح أيضًا .

هتف فى حِدَّة :

ــ مَنْ قال هذا ؟

والتقى حاجباه ، وهو يستطرد فى لهجة قويَّة :

ــ إننى لم أقُلْ كلمتى بعْدُ .. وستعلمون وترون جميعًا ، كيف أن (بلوميه) هو الذى ينتصر فى النهاية .. دوْمًا ..

* * *

اتسعت عينا الدكتور (أحمد) وهتف فى ذُعْر :

ــ ماذا تفعل ؟

ولكن رصاصة (أدهم) لم تصب (سمير) ، بل تجاوزت رأسه بسنتيمترات قليلة ، واستقرَّت فى عنق أحد القناصين ، الذى أطلَّ من نافذة الهليوكوبتر المحطَّمة ، حاملًا مدفعه الرشاش ، فصرخ فى ألم ، وسقطت رأسه على زجاج النافذة ، فهتف (سمير) :



ولكن رصاصة (أدهم) لم تصب (سمير) ، بل تجاوزت رأسه بسنتيمترات قليلة ، واستقرّت فى عنق أحد القنّاصين ..

ــ يا إلهى !!.. لقد أنقذت حياتى يا سيادة المقدّم .

أعاد (أدهم) مسدّسه إلى غمده ، وهو يغمغم مبتسمًا :

ــ من الطبيعى أن أسعى للدفاع عن خليفتى .

تهلّلت أسارير (سمير) ، وأعاد مسدّسه إلى غمده بدوْره ، وهو يتجه إلى السيّارة ، هاتفًا :

ــ يا إلهى !.. أنت لاتتصوّر كم تسعدنى بهذا القول يا سيادة المقدّم ، فهذا حُلم لايجرؤ الكثيرون على أن يحلمُوا به .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ــ ليس إلى هذا الحدّ .

ثم أضاف بالفرنسية فى مرح :

ــ ولكنك حقًا الرجل المناسب .

وهنا ارتفعت صرخة غاضبة ، تهتف :

ــ للموت .

ومن فُوّهة المدفع الرشاش للقناص الثانى ، ومن موقع الهليوكوبتر المحطّمة ، انطلقت رصاصات نهر أسود جديد .. نهر الانتقام ..

* * *

٩ — البطل ..

فى هذه المرّة ، أثبت (سمير) حقًا ، أنه يستحق أن يكون خليفة (رجل المستحيل) ..

لقد تحرّك على نحو يدعو للإعجاب ، تحت أىّ مقياس ..

لم يكد يسمع صوت القنّاص الثانى ، الذى أفاق من تلك الغيبوبة ، التى أصابته لدى ارتطام الهليوكوبتر بالأرض ، والذى حمل مدفعه الرشاش لينتقم لزميله ، حتى عاد ينتزع مسدسه من غمده ، ويقفز أرضًا ، ويدور حول نفسه بحركة رشيقة بارعة ، ويطلق النار ..

وأصابت رصاصته رأس الهدف ، بدقّة مدهشة ..

وبين عينى القنّاص تمامًا ، استقرّت رصاصة (سمير) ..

وجحظت عينا الرجل ، وانطلقت رصاصات مدفعه الرشاش فى الهواء ، ثم سقط جثة هامدة ..

وفى هدوء ، اعتدل (سمير) ، ونفخ الدّخان من فوّهة مسدسه ، ثم أداره بين أصابعه فى مهارة ، تشبه مهارة رعاة البقر الأمريكيين ، فى أفلام (هوليود) ، قبل أن يُعيده إلى غمده ، ويلتفت إلى (أدهم) مبتسمًا ، قائلا :

— ما رأيك يا سيّدى ؟. هل أستحق اللّقب ؟

هتف الدكتور (أحمد) فى حماس :

— بالتأكيد .

أمّا (أدهم) ، فقال فى هدوء :

— إلى حدٍّ ما .

عقد (سمير) حاجبيه فى قلق ، وهو يغمغم :

— أهناك ملاحظات ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

— نعم .

هتف (أحمد) فى حماس :

— رُوَيْدَك يا (أدهم) .. الفتى رائع بحقّ .

قال (أدهم) فى هدوء :

— ولكنه لا يُحسن التصويب .

ارتفع حاجبا (أحمد) فى دهشة ، وهو يهتف :

— لا يحسن ماذا ؟!.. إنه أبرع من رأيت فى هذا المجال ، حتى أنه لا يفوقه سواك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— خطأ .

ثم أضاف فى غضب :

ــ إننى لا أقتل خصومى بهذه البساطة ، فالقتل أمر بشع ، لا ينبغى أن يلجأ إليه المرء أبدًا ، إلا للضرورة القصوى .

غمغم (سمير) معترضًا :

ــ ولكن هذا الرجل كان سيقتلنا .

قال (أدهم) فى هدوء :

ــ كان ينبغى أن أطلق النار على سلاحه فحسب .

أشار خلفه ، هاتفًا :

ــ ولكنك أطلقت النار على رأس الآخر .

غمغم (أدهم) فى ضيق :

ــ كنت أنت تحول بجسدك بينى وبينه ، ولم يكن أمامى سوى قتله .

تنهد (سمير) ، وقال :

ــ سأذكر ذلك مستقبلًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ أنا واثق من أنك ستفعل .

ثم انتقل إلى المقعد المجاور للسائق ، وهو يستطرد :

ــ أما الآن ، فسنقود السيارة إلى (مونت كارلو) ، فساقى تؤلمنى فى شدة .

هتف (أحمد) فى قلق :

ــ (أدهم) .. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل ، وإلا تورمت ساقك فى شدة .

أرخى (أدهم) جفنيه ، وقال :

ــ فيما بعد يا أخى العزيز .. فيما بعد .. عندما نصل إلى (القاهرة) .

وتنهد قبل أن يستطرد :

ــ هناك فقط سأشعر بالارتياح .

واسترخى فى مقعده ..

وترك (سمير) ينطلق بالسيارة إلى (مونت كارلو) ..

* * *

عقدت (سونيا جراهام) حاجبيها فى شدة ، وهى تتطلع إلى (بلوميه) ، قائلة فى انفعال :

ــ وماذا لديك يا مسيو (بلوميه) ؟.. ما تلك القوة ، التى تستند إليها ، حتى تؤكد أنك لم تقل كلمتك بعد .

ابتسم فى ثقة وهدوء ، وهو يقول :

— يكفى أن (موريس) وباقى رجالى قد وصلوا الآن إلى (مونت كارلو) ، قبل أن يصل إليها شيطانك .

هزّت رأسها ، قائلة :

— كلّا .. هذا لا يكفى ، فلستم تملكون رجال الشرطة هناك ، ولا القضاة .

اتّسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— ولكن لنا سَطوة رهيبة .

هتفت فى سُخط :

— سَطْوة ماذا ؟

انتزع من جيب سترته رزمة أوراق مالية ، لوّح بها فى وجهها ، هاتفًا :

— سَطْوة هذا .. سَطْوة المال .

ثم أعاد الرّزمة إلى جيبه ، مستطردًا فى فخر :

— إنه السلاح الصالح لكلّ مكان وزمان .

بدأ منطقه يجذبها ، ويجذب عملاق (مارسيليا) الآخرين ، فسأله (موروا) فى اهتمام :

— وماذا سيفعل المال ؟

ابتسم (بلومبه) ، وهو يقول :

— سيعود بنا إلى الوسائل القديمة ، التى تستنكرها عزيزتنا (سونيا) ، وسيضمن لنا الفوز بعُنق ذلك الشيطان المصرىّ .

والتقط نفسًا عميقًا من سيجاره ، ونفثه فى الهواء ، قبل أن تتسع ابتسامته ، وتمتلئ بالثقة ، وهو يستطرد فى زهو :

— وسترون .

* * *

« لست أفهم شيئًا » ..

غمغم الدكتور (أحمد) بتلك العبارة فى ضيق واضح ، قبل أن يكرّرها فى صوت مرتفع :

— لست أفهم شيئًا .

ابتسم (أدهم) فى استرخاء ، وغمغم دون أن يفتح عينيه :

— ما الذى لا تفهمه يا أخى العزيز ؟

هتف فى حِدّة :

— لست أفهم لماذا كل هذا العذاب ، ما دمتم ستنقلوننى فى النهاية إلى (القاهرة) ؟!.. لماذا لم تفعلوا ذلك منذ البداية ؟

تنهّد (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد كان هذا هو أوّل ما دار بخلدنا يا أخى العزيز ، ولكن هؤلاء الأوغاد دفعوا المستشفى إلى أن يُرسل لنا تقريرًا

مُزيَّفًا ، يؤكِّد فيه خطورة انتقالك تمامًا ، ثم إنني قد خشيت ألّا أحضر ، فيدفع هذا أولئك الأوغاد إلى اتخاذ إجراء وحشيّ ، يعرِّض حياتك للخطر .

وصمت لحظة ، ثم استطرد في حنق :

ـ إنه نهر أسود يا أخي .. نهر يفيض بالمَقْت والكراهية والحَنَق .. نهر كئيب بغيض ، ولم يكن أمامي ـ للأسف ـ سوى أن أخوضه ، ولعل هذا ما أعاد إليّ ثقتي بنفسي .

هتف (أحمد) في حنق :

ـ وما يعرِّض ساقك لخطر البتر .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ دعْنا نأمل ألا يحدث ذلك يا أخي .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ وإلّا أقامت أجهزة مخابرات خمس دول على الأقل احتفالًا ضخمًا .

ضحك (أحمد) ، وهو يقول :

ـ يا لكَ مِنْ رجل !

ابتسم (أدهم) ، وهو يشير إلى لافتة أنيقة ، قائلًا :

ـ هيَّا أيها السيِّدان .. استعدًا ، وتألقًا ، فلقد بلغنا نهاية

المطاف تقريبًا .. إننا على بعد خمسة كيلومترات فحسب من (مونت كارلو) .

ضحك (سمير) ، وهو يقول :

ـ تصوَّر أن ندخل مدينة أصحاب الملايين ، بهذه الهيئة الزَّرِيَّة ، وبسيَّارة نصف محطَّمة ، خالية من الوقود تقريبًا ، وبلا سقف .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هذه هي الموضة الجديدة يا صديقي .. هيَّا .. انطلق إلى (مونت كارلو) .

* * *

ارتفع رنين الهاتف ، في مكتب (فنتورا) .. المطلّ على ميناء (مارسيليا) ، فامتدت يد هذا الأخير إلى سمَّاعته ، ولكن يد (بلوميه) كانت الأسرع ، فاختطفت السمَّاعة في خفة ، وهو يقول :

ـ معذرةً يا عزيزي (فنتورا) .. هذه المحادثة لي أنا .

هتف (فنتورا) في استنكار :

ـ على هاتفي الخاصّ ؟!

ابتسم (بلوميه) في هدوء ، ووضع السمَّاعة على أذنه ، قائلًا :

— هنا (بلوميه) .

تألقت عيناه فى شراسة ، وهو يستمع إلى محدثه ، قبل أن يقول :

— حسنًا .. كلّا .. اكتفوا بمراقبتهم فحسب ، حتى يصلوا إلى المطار ، وهناك افعلوا ما أمرتكم به .

ثم أعاد السمّاعة ، فهتفت به (سونيا) فى توتر :

— هل وصل (أدهم) إلى (مونت كارلو) ؟

ابتسم فى ثقة ، وهو يقول :

— الثلاثة وصلوا إلى هناك .

صاحت فى شراسة :

— ينبغى ألا يسمح لهم رجالك بالوصول إلى المطار إذن ، فلو فعلوا فسنخسر كل شىء .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول فى دهاء وغموض :

— على العكس يا عزيزتى (سونيا) .. إننا سننتصر حينذاك ، فأنت تريدين ذلك الشيطان المصرى .. وأنا كذلك ، ولكن طريقتى تختلف عن طريقتك .. إننى سأدفعه إلى أن يأتى هو إلىّ ، جاثيًا على ركبتيه ، ويرجونى أن أقتله .

عقدت حاجبيها فى توتر ، وهى تقول فى حدة :

— أى هُرَاء هذا ؟

ضحك فى ثقة ، وهو يقول :

— ليس هُراءً يا عزيزتى (سونيا) .. بل ذكاء ، وسترين كيف أنى سأنتصر فى النهاية .. قُولى وداعًا لشيطانك المصرى يا (سونيا) .. إنه يلتقط الآن أنفاسه الأخيرة ..

* * *



١٠ — نهر الحِقد الأسود ..

أوقف (سمير) السيّارة أمام مطار (مونت كارلو) ، وهو يبتسم ، قائلًا :

— جوازات سفركم أيها السّادة .. ستنطلق بعد ساعتين إلى (القاهرة) .

ثم غادر السيّارة ، وعاون (أدهم) على النّزول ، وهو يستطرد :

— والنقيب (سمير) فى خدمتكم .

وأشار إلى الدكتور (أحمد) ، هاتفًا :

— انتظر كما أنت ياسيّدى .. سأجد حتمًا مقعدًا متحرّكًا هنا ، فى مكتب خدمة المواطنين .

أسرع إلى الداخل ، فابتسم (أحمد) ، وقال :

— إنه شعلة نشاط .

ابتسم (أدهم) بدوْره ، وهو يقول :

— ألم أقل لك إنه خليفتى ؟

لم يكد يُتمّ عبارته ، حتى عاد (سمير) من الداخل ، وهو يدفع أمامه مقعدًا متحرّكًا ، هاتفًا فى مَرَح :

— ألمْ أقل لكما ؟

وراح يعاون الدكتور (أحمد) على الانتقال إلى المقعد المتحرّك ، وَدفعه أمامه إلى داخل المطار ، وهو يقول لـ (أدهم) فى اهتمام :

— عجبًا !!.. ألمْ تلحظ كيف أنك لم تعُد تعرج فى شِدّة ، كما كنت أمس ياسيادة المقدّم ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— بَلى .. يبدو أن تلك الساق اللّعينة كانت تحتاج إلى بعض التدريبات فحسب .

ضحك (سمير) ، وهو يقول :

— نعم .. يبدو ذلك .

توقّف الثلاثة أمام ضابط الجوازات ، وناوله (سمير) جوازات سفر ثلاثتهم ، وهو يقول فى مَرَح :

— إلى (القاهرة) ، على أوّل طائرة .

رمقه ضابط الأمن بنظرة باردة ، بخلاف المعهود فى رجال أمن (مونت كارلو) من الابتسام والمَرَح ، وَرُوح المودّة ، ثم أدار عينيه إلى قدم الدكتور (أحمد) ، التى أحيطت بغلاف من الجبس اليابس والأربطة ، وقال :

— أتحملون أيّة ممنوعات ؟

قال (أحمد) مازحًا :

— لو استثنيت عقولنا ، فلسنا نحمل شيئًا .
أشار إلى جبيرة الدكتور (أحمد) ، وهو يقول فى صرامة :
— وما الذى تخفيه هذه ؟
هتف به (أحمد) فى غضب :
— ساق مكسورة ، ولدىّ تقريرٌ بذلك ، و .....
قاطعه الضابط فى صرامة ، وبروح عدائية :
— لابُدَّ من تفتيشها .
هتف (أدهم) فى صرامة :
— لن نسمح بتحطيم تلك الجبيرة ، وتعريض ساق أخى للخطر .
ابتسم الضابط فى سُخرية ، وهو يقول :
— ومن ذكر أمر التحطيم ؟.. هناك وسائل أكثر رقيًا ، كصور الأشعة مثلًا .
كاد (أدهم) يعترض مرّة أخرى ، لولا أن أمسك (أحمد) معصمه ، وهو يقول فى توتُّر :
— لابأس يا (أدهم) .. دع الرجل يؤدّى واجبه ، حتى لانضيع مزيدًا من الوقت .
عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :
— سأذهب معك .
هتف الضابط فى غلظة :

— سيذهب وحده .. هذه هى التعليمات .
قال (أدهم) فى حِدّة :
— هل لى أن أطّلع على تلك التعليمات ؟
صاح الضابط فى صرامة :
— كلّا .. ليس لك هذا الحق .
هتف (أحمد) :
— كفى يا (أدهم) .. الأمر لايستحق كل هذا .
ثم التفت إلى ضابط الأمن ، قائلًا :
— هيّا بنا .
ابتسم الضابط فى ظفر ، ودفع المقعد أمامه إلى رواق قريب ، حيث اختفى فى إحدى حجراته ، وغمغم (أدهم) فى حَنَق :
— ياللسخافة !
ربّت (سمير) على كتفه ، وهو يقول فى هدوء :
— لاعليك ياسيّدى .. هذا لايساوى شيئًا ، أمام كل ما واجهناه حتى الآن .
تنهّد (أدهم) فى عُمق ، وهو يغمغم :
— صدقت .

ثم جلس على مقعد قريب ، مستطردًا :
ـ المهمُ ألا يستغرق ذلك وقتا طويلًا .
وغمغم (سمير) ، وهو يبتسم فى هدوء :
ـ لن يفعل بإذن الله .. إنه ......
وفجأة ، بتر عبارته ..
بترها وهو يحدِّق فى نقطة ما ، فى الرواق ..
لقد كان ضابط الأمن يقف هناك ، ويتسلَّم بخلسة رزمة من الأوراق المالية ، من رجل أنيق ، على حين كان هناك رجل آخر يدفع مقعد الدكتور (أحمد) المتحرك خارج الحجرة ، ويُسرع به فى الرواق ..
وهتف (سمير) ، وهو ينتزع مسدَّسه :
ـ اللعنة !!..
وأطلق النار نحو الرجل الأنيق ..

* * *

أصابت الرصاصة هدفها تمامًا ..
وصرخ الرجل الأنيق ألمًا ، ثم سقط أرضًا ..
أمّا ضابط الأمن ، فقد شهق فى رُعب ، وتراجع فى عُنف ، وهو يقبض على رزمة الأوراق الماليّة فى استماتة ، على حين راح الرجل الذى يدفع المقعد أمامه يعدو بأقصى سرعة ، وكأنما يرغب فى بلوغ نهاية الرواق بأى ثمن ..

وبقفزة رائعة ، تجاوز (سمير) ذلك الحاجز ، الذى كان يفصله عن ضابط الأمن ، وانطلق يعدو داخل الرواق ، هاتفًا :
ـ أيها الأوغاد .
أما (أدهم) ، فقد انتزع مسدَّسه بدوْرِه ، وراوده شعور بالغضب والحنق ، وهو يضطرّ للدَّوَران حول الحاجز ، بعد أن عجزت قدمه المصابة عن القفز عَبْره ، وانطلق يَعْدو بقدر ما تسمح به إصابته ، نحو (سمير) ، وقد أدرك الأمر كله من النظرة الأولى ..
وتوقَّف (سمير) صائحًا :
ـ توقَّف أيها الوَغْد .
كان الرجل الذى يدفع المقعد قد بلغ نهاية الرواق تقريبًا ..
وكان من الواضح أنهم قد أفقدوا الدكتور (أحمد) وعيه بوسيلة ما ..
وكان مسدَّس (سمير) مصوَّبًا إلى رأس الرجل تمامًا ..
ولكن ..
يا لها من كلمة ، تعترض كل الأحداث ، وتقلب كل الموازين ..
لقد انطلقت رصاصة بالفعل ..
ولكنها لم تكن رصاصة (سمير) ..

إنها لم تنطلق من مسدسه ، ولم تصب رأس الرجل ..
لقد انطلقت من مسدس ضابط الأمن الخائن ..
وأصابت البطل ..
أصابت (سمير) فى ظهره ..
فى موضع القلب تمامًا ..

* * *

توقف (أدهم) فى غضب ، عندما رأى الرصاصة تصيب (سمير) ، وهتف فى ثورة :
ـ أيها الحقراء .
ولكن موضعه لم يكن يسمح له بإصابة رجل الأمن ، الذى يختفى داخل حجرته ..
إلا أن (سمير) كان يستطيع ..
لقد دار حول نفسه دَوْرَة أخيرة ، وهو يهتف :
ـ أيها القذر .
وانطلقت من مسدسه رصاصة أخيرة صائبة ..
وجحظت عينا رجل الأمن ، عندما اخترقت الرصاصة جبهته ، وسقط جثة هامدة ..
ولكنه لم يسقط وحده ..
لقد ارتجّ المطار كله بصرخة (أدهم) ، وهو يهتف :

ـ (سمير) ..
واندفع نحو زميله ، وانحنى يفحصه ، إلا أن (سمير) قال فى حزم :
ـ أخبر أبى أننى قد متُّ بطلًا .
غمغم (أدهم) فى حزن ومرارة :
ـ سأفعل .
ابتسم (سمير) ، وغمغم فى إعياء :
ـ معذرة يا (رجل المستحيل) ، لن أخلفك .
ثم تراخى رأسه ، وفقدت عيناه بريق الحياة ، فأرقده (أدهم) أرضًا ، ثم هبَّ واقفًا ، وفى أعماق قلبه ، تدفّق نهر أسود آخر ..
وفجأة ، تذكّر أخاه ، فهتف :
ـ يا إلهى !! .. (أحمد) !!
اندفع يَعْبُر الرواق فى ثورة ، وهو يهتف :
ـ (أحمد) !!
ولم يكد يبلغ نهايته ، حتى رأى المقعد المتحرّك ملقى وسط ممرّ الإقلاع ورأى طائرة خاصّة صغيرة تندفع فوق الممرّ ..
ومرّة أخرى شعر بحَنَق وسُخط ومرارة ، لا مثيل لها ...
إنه الآن يدفع ثمن عجزه ..

لو حدث هذا منذ ثلاثة شهور فقط ، لانطلق خلف الطائرة كالصاروخ ، ولتعلّق بجناحها ، أو ذيلها ..

أمّا اليوم فهو عاجز ..

عاجز عن مطاردتها ..

عاجز عن إنقاذ أخيه ..

وبكل الغضب والمرارة ، صوّب مسدّسه إلى خزّان الوقود بالطائرة ، التي تبتعد في سرعة ، ثم لم يلبث أن خفضه ، وهو يهتف في مرارة :

ـ ماذا ستفعل يا (أدهم) ؟.. هل تفكّر في نسف الطائرة ؟.. أنسيت أيها التعس أن شقيقك على متنها ؟.. أنسيت ؟

تضاعفت مرارة الهزيمة في حلقه ، وهو يستطرد :

ـ لقد خسِرْتَ هذه المرّة يا (أدهم) .. لقد خسِرْتَ حقًّا .. خسِرْتَ كل شيء .. أخاك .. (سمير) .. كل شيء .

ثم تألّقت عيناه فجأة ببريق غاضب ..

وفي عروقه سَرَت رغبة هائلة في الانتقام ..

حقد هائل ملأ كل حواسّه ..

نهر أسود عنيف ، نبضت به عروقه ..

وفي صرامة وحزم ، ضمّ قبضته ، وهو يهتف :

ـ كلّا .. المعركة لم تنته بعْدُ .. لم تنته .

وكان على حق ..

* * *

أعاد (بلوميه) سمّاعة الهاتف ، وعيناه تتألّقان في ظفر هائل ، حتى أن (سونيا) قفزت إليه ، وهي تهتف في لهفة :

ـ هل ظفروا به ؟

أجابها مبتسمًا في زهْو :

ـ تقريبًا .

هتفت في غضب :

ـ ماذا تعني تلك الإجابة السخيفة ؟.. إمّا أنهم قد ظفرُوا به أو لا .

ابتسم متجاهلًا غضبتها ، وهو يقول :

ـ لقد قتلوا رفيقه الشاب ، ونجحوا في اختطاف شقيقه ذى الساق المكسورة ، وسيأتون به إلى هنا .

امتقع وجه (سونيا) ، وهي تقول :

ـ ماذا ؟

أطلق (بلوميه) ضحكة ظافرة ، أثارت حسد (مورو) و (فنتورا) ، وهو يتناول زجاجة من زجاجات الكونياك ،

التى يحتفظ بها مكتب (فتورا) ، ويصب أربع كئوس ، ويرفع إحداها بيده عاليًا ، وهو يهتف :

ــ نخب القضاء على ذلك الشيطان المصرى .

غمغمت (سونيا) :

ــ لقد أخطأت .

هتف فى دهشة :

ــ أخطأت ؟! .. ماذا تقولين يا عزيزتى (سونيا) ؟ .. لقد انتصرت تقريبًا .. لقد بلغت نصف النجاح .

قالت فى مرارة :

ــ بل أيقظت عملاقًا ، لن تقدر قوة رجالكم مجتمعين على التصدّى له .. إنك لم تعد تواجه رجلًا رهيبًا فحسب .. بل ماردًا غاضبًا ، يسرى الانتقام فى عروقه مَجْرَى الدم .

أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ حسنًا يا عزيزتى (سونيا) .. سنريق ذلك الانتقام من عروقه ، بدلًا من الدم .. وسترين .

ارتجفت ، وهى تغمغم :

ــ نعم .. كلنا سنرى ..

ومرّة أخرى ارتجف جسدها كله ، وهى تنتظر الجَوْلة الثانية ..

جَوْلة الانتقام ..

[انتهى الجزء الأوّل ، ويليه الجزء الثانى](عمالقة مارسيليا)

رقم الإيداع: ٣٦١٩

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٧٦

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية

النهر الأسود

- هل يمكن أن يعود (أدهم صبري) إلى عمله ، بعد إصابته ، في مغامرته الأخيرة ؟
- ما تلك الخطة الانتقامية السوداء ، التي أعدتها (سونيا جراهام) لـ (أدهم صبري) ؟
- ترى لمن يكون النصر ، في تلك المواجهة الجديدة ، في نهر الخوف الأسود ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



• العدد القادم : عمالقة ماروسيا